جوامع الآداب
في أخلاق الأنجاب

تأليف

الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي

مؤسسة قرطبة
طباعة . نشر . توزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الانسان فى أحسن تقويم * وألهمه أن يزكى نفسه بالخلق الكريم * وأفضل الصلاة والتسليم * على من أثنى عليه ربه بأنه على خلق عظيم * سيدنا محمد خاتم النبيين * وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين *

﴿ أما بعد ﴾ فان علم مكارم الاخلاق والشمائل * وتقويم النفوس بمحاسن الآداب والفضائل * من العلوم المهمة * التي هى أساس نجاح الامة * فان على الاخلاق الفاضلة مدار المدنية والعمران * وترقى الانسان * وصلاح البلدان * ونمو مدارك العلم والعرفان* كما أن بالاخلاق السيئة الهلاك والدمار * والخزى والعار * إذ هي السموم القاتلة * والمهلكات العاجلة * والمخازى الفاضحة * والرذائل الواضحة * وقد أرشدت الى الاخلاق الفاضلة الشرائع الالهية * والقوانين الحكمية على الاطلاق * وبعث نبينا صلى الله عليه وسلم ليتمم مكارم الاخلاق *

ولما دوّن في ذلك جليل الاسفار * وجميل الآثار * رأيت أن أجمع في كتاب أهم ما أثر منه عن السلف * وأكمل ما نقل عن الخلف عناية بالناشئة الذين هم أطفال اليوم ورجال الغد * واحتفاظا بما يكسب لهم ولقومهم ووطنهم الفخار والمجد ﴿ وسميته جوامع الآداب في اخلاق الانجاب ﴾ ورتبته على سبعة أبواب ، متوجة بمقدمات ، ومذيلة بخواتم ، ومن الله التوفيق وعليه التكلان *

مقدمـــات

١ - ﴿ معنى الخلـق ﴾

الخلق والخلق عبارتان مستعملتان معاً * يقال فلان حسن الخلق والخلق أى حسن الظاهر والبـاطن * فيراد بالخلق الصورة الظاهرة * ويراد بالخلق الصورة الباطنة . — وذلك لان الانسان مركب من جسد مدرك بالبصر * ومن روح ونفس مدركة بالبصيرة * ولكل واحد منهما هيئة وصورة * اما قبيحة واما جميلة : فالنفس المدركة بالبصيرة أعظم قدراً من الجسد المدرك بالبصر * ولذلك عظم الله أمره باضافته اليه إذ قال تعالى (اني خالق بشراً من طين فاذا سويته ونفخت فيـه من روحي فقعوا له ساجدين) فنبه على أن الجسد منسوب الى الطين والروح الى رب العالمين * والمراد بالروح والنفس في هذا المقام واحد * فالخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الافعـال بسهولة من غير حاجة الى فكر وروية فان كانت الهيئـة بحيث تصدر عنهـا الافعال الجميلة المحمودة عقـلا وشرعاً — سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً * وان كان الصادر عنها الافعال القبيحة — سميت الهيئـــة التى هي المصدر خلقاً سيئاً (١)

---

(١) الغزالى

٢ – ﴿ قبول الأخلاق للتغير بطريق الرياضة ﴾

يزعم بعض من يستثقل المجاهدة والرياضة : أن الاخلاق لا يتصور تغييرها : ولو صح ذلك ابطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات * وكيف ينكر هذا في حق الآدمى وتغيير خلق البهيمة ممكن * إذ ينقل البازى من الاستيحاش الى الانس * والكلب من شره الأكل الى التأدب والامساك والتخلية * والفرس من الجماح الى السلاسة والانقياد . وكل ذلك تغيير للاخلاق فأجدر بالانسان أن يتغير بالرياضة خلقه — وذلك بأن لا يقهر هواه العقل ولا يغلبه * بل يكون العقل هو الضابط له والغالب عليه وذلك ممكن فانه ربما يستولى الغضب على المرء بحيث لا يقوي على دفعه وبالرياضة يعود الى حد الاعتدال — وهو المراد بتغيير الخلق فدل أن ذلك ممكن والتجربة والمشاهدة تدل على ذلك دلالة لا شك فيها (١)

٣ – ﴿ مفتاح السعادة تربية الأفراد على العلم والعمل ﴾

قال حكيم : لما كان شرف الانسان بالقوة المدركة * لزم تهذيبها لتكف صاحبها عن المساوىء وتدفعه الى المحاسن * فتتمهد أمامه مسالك الحياة * وتتوفر له أسباب السعادة فيعيش في الرغد والهناء * وإلا تسلطت عليه المساوىء * وانغمس في الشهوات * وضل عن سبيل

---

(١) الغزالى

الانفة والتحاب . وأنس بالجهل واستطاب الخمول * ومن الثابت أن المرء اذا حسنت تربيته . وتم تهذيبه * كانت أعماله قويمة وأخلاقه مستقيمة* واذا فسدت تربيته انعكست أعماله * وساء خلقه * وسعادة مجموع الامة متوقفة على تربية الافراد *فاذا تهذب الافراد وتربوا على الفضائل وأخذوا بأصول الدين تهذب المجموع وصاروا أعضاء جسم واحد وخير التربية ما كان من حال الصغر * إذ يكون الانسان مستعداً بالفطرة لقبول الخير. وتقويم أود النفس * كالغصن اللين في مبدأ نموه اذا قومته استقام * لهذا كان من الواجب القيام بتربية الاطفال وتلقينهم دروس الآداب والحكمة منذ نعومة الاظفار *

٤ - ﴿ حاجة العلم إلى الأخلاق الفاضلة ﴾

الرجال بالاعمال . والاعمال آثار الصفات والاخلاق . وبذلك يتفاضل الناس لا بالعلوم وحدها أو إجازات المدرسين أو شهادات المدارس فحسب * وذلك لان العلم وحده لا يكفي لجعل الرجل عظيما في قومه . نافعا لامته ووطنه * فان العلم آلة تديرها الاخلاق . فاذا كانت أخلاقه فاسدة كان علمه كالسيف في يد المجنون يضرّ به ولا ينفع * فالرجل لا يكون عظيما الا بعلومه الكاملة . وأخلاقه وأعماله الفاضلة . (١) وبالجملة فيجب أن يعلم أن الانسان وان كان هو بكونه إنسانا أفضل موجود فذلك بشرط ان يراعى ما به صار انسانا وهو العلم الحق .

---

(١) الحكيم شريف بزيادة

والعمل المحكم * فبقدر وجود ذلك المعنى فيه يفضل ولهـذا قيل (الناس أبناء ما يحسنون) أى ما يعرفون ويعملون من العلوم والاعمال الحسنة . (١)

الباب الأول : أدب النفس

كل من أعار الوجود نظرة البصـير علم أن حاجة المرء الى تأديب نفسه لا تفوقها حاجة لان الانسان إلى الشر أميل منـه الى الخير والى الشهوات النفسية منه الى الكمالات الروحية فكان من المحتم العناية بتهذيب خلقه . وتحليته بالمحاسن والفضائل وتطهير نفسه من المساوىء والرذائل فيصبح محمود الاقوال والافعال مثالا للفضيلة والكمال . وهاك شذرة مما يلزمك أن تتخلق به من آداب نفسك :

عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به ، لا تستخفن بفاضل شريف، لا تميلن الى سخيف ، لا تقولن هجراً ائـلا يسقط قدرك ، لا تفعلن نكراً ائـلا يقبح ذكرك ، إياك وفضول الكلام فانه يظهر من عيوبك ما بطن ، ويحرك من عدوك ما سكن ، فكلام الانسان بيان فضـله ، وترجمان عقله ، فاقصره على الجميل ، واقتصر منـه على القليل ، وإياك وما يستقبح من الكلام ، فانه ينفر عنك الكرام ، ويوثب عليك اللئام، اياك واللجاج فانه يوغر القلوب ، وينتج الحروب ، فاقتصر من الكلام

---

(١) الذريعة للاصفهاني

على ما يثبت حجتك ، ويبلغك حاجتك ، ومن قال بلا احترام ، أجيب بلا احتشام ، لا تعود نفسك الا ما تحظى بأجره ، وتحمد على ذكره واياك ومحاجة من يملكك قهره ، وينفذ فيك أمره . يستدل على رزانة الرجل بقلة نطقه ومقاله ، وعلى فضله بفضل علمه واحتماله ، فأكرم اخوانك ، واكثر خلانك ، واكفهم لسانك ، فطعن اللسان أنفذ من طعن السنان ، تعام عما تسوؤك رؤيته ، وتغاب عما تضرك معرفته ، ولا تشر على من لا يقبل منك ، ولا تجب عما لا تسأل عنه ، واذا عاتبت فاستبق ، واذا صنعت معروفا فاستره ، واذا صنع اليك فانشره واذا أذنبت فاعتذر ، واذا أذنب اليك فاغتفر ، فالمعذرة بيان العقل والمغفرة بيان الفضل ، لا تزهد فى رجل عرف فضله ، وجرب عقله ، ولا تعن قوياً على ضعيف، ولا تؤثر دنيا على شريف ، ولا تشر بما يعقب الوزر والاثم ، ولا تفعل ما يقبح الذكر والاسم .

كرم نفسك وعرضك من مضاحكة المجان والمساخر ، ومن لا يبالى بما يقابل به من ضروب الاستخفافات التى تلحقه فهو من شرار الناس . واحفظ لسانك من المزاح والسخرية والاستهزاء بالناس فان ذلك يريق ماء الوجه ويسقط المهابة ويستجرّ الوحشة ويؤذى القلوب ، وهو مبدأ اللجاج والغضب والتقاطع ، ويثير الحقد في القلوب ، إلق صديقك وعدوك بوجه الرضا من غير مذلة ولا هيبة منهما ، وتوقر من غير كبر وتواضع من غير مذلة ، ليكن ضالة عقلك التي ينشدها ونجعته التى يرتادها الحق فاحكم به ولو على نفسك ولا تكن ممن تأخذه العزة بالاثم

فلا يصغى الى الحق لكونه صدر عمن هو أدنى على مايعتقد ، بل العاقل يأخذ الحكمة حيث وجدت وليس في الحق صغير ولا كبير ولا تحاب صديقك في الحق فان الحق أجدر بالصداقة منه *

اجتهد في محو الخرافات (١) والاوهام والتصورات الباطلة فانها تفسد الملكات وتدل على الجهل بحقائق الامور واطرح المبالاة بكلام الناس لما تتوخاه من الحق فان السلامة من طعن الناس غاية لاتدرك ومن راض نفسه على السكون الى الحق وتبين أن ألمه في أول صدمة كان اغتباطه بذم الناس اياه أشد من اغتباطه بمدحهم له ، ومن لاعدو له لاخير فيه، ولا منزلة أسقط ممن لاعدو له لأنها منزلة من ليس لله تعالى عنده نعمة يحسد عليها عافانا الله*

لاتقبل ساطة فكرة الا بعد فحص دقيق فان كل ماأبطل ببرهان ضرورى فليس بحق * وكل ماثبت ببرهان فمعارضته شغب فاجتنبها وليكن مرجعك الى الحق ومنزعك الى الصدق فمن أضعف الحق وخذله أضعفه الباطل *

عليك بالنشاط في العمل وترك البطالة والكسل ولا تكن كلا على غيرك فان الرجل كل الرجل من يأكل من كسبه ويشرب من ورده

أقدم على جلائل الاعمال مع الصبر والثبات واحمل نفسك على معالى الامور والتشبث باحسن الاعمال والامور العظام والتهاون لنيلها

---

(١) جمع خرافة ويراد بها كل مانافى الدين الصحيح اوالواقع أومالا يقبله العقل السليم

بالآلام فان الكسل من النقائص التى توجب الخسائس والشرور وتدل على ضعف فى ادراك صاحبها وحطة فى نفسه ومن رضى بالدون التحف بالخول وفاتته معالى الامور وآذن بصغر نفسه وقصر همته وضعف غريزته وقد قيل (اذا رقدت النفس في فراش الكسل استغرقت في بحر الحرمان) لاترغب فى سرعة العمل وارغب فى اتقانه ولا تؤخرن عملا عن وقته فان الوقت الذي تؤخره له عمل واست تطيق ازدحام الاعمال فانها اذا ازدحمت دخلها الخالل * واتكن أوقاتك عندك كلها ربيعاً فالوقت من أسمى مواهب الخالق التى لايمكن استعادتها متى فاتت فلا تتصرف فيه بما يؤسفك على فواته ، من هم أقل منك معرفة وأدنى درجة ينبغي أن لا تكثر معهم اللجاجة ولا تخالطهم الا بقدر الحاجة احذر من صحبة الفارغ فانه يفتك بوقتك ولا فتك الوباء فالمخالطة تؤثر والطبع سراق * فاصحب الخيار * وما وراء كثير من اللغو الا اضاعة الوقت سدى وقطع مراحل الحياة على غير هدى *

الوقت الذى تمضيه في أداء الواجبات الاجتماعية ليس بوقت ضائع لان حب الغير ومعاونته والعمل على نشر العلم وتقليل وطأة الفاقة كلها من دلائل السعادة *

التزم وظيفة من الجزء النظرى والعملى لاتخل به البتة * ولتجرى النفس مجرى الرياضة التى تلزم في حفظ صحة البدن * وأطباء النفوس اشد تعظيما لها فى حفظ صحة النفس وذلك لان النفس متى تعطلت من

النظر وعدمت الفكر والغوص في المعاني تبلدت وتبلهت وانقطعت عنها مادة كل خير واذا ألفت الكسل وتبرمت بالروية واختارت العطلة قرب هلا كها ، لان في عطلتها انسلاخاً من صورتها الخاصة بها ورجوعاً منها الى رتبة البهائم وهذا هو الانتكاس في الخلق نعوذ بالله منه * واذا تعود الحدث الناشيء من حداثته الارتياض بالامور الفكرية واحتمل ثقل الروية والنظر وأنس بالحق ونبا طبعه عن الباطل وسمعه عن الكذب حتى اذا بلغ أشده وانتقل الى مطالعة الحكمة استمر طبعه فيها وتشرب مايستودع منها فوصل الى سعادتها *

احرص على سعادة غيرك فان اجتهادك في إسعاد غيرك إسعاد لنفسك وقصر جهدك على إسعادك لنفسك إشقاء لها وذلك لانه اذا سعى كل في نفع غيره توفر النفع للجميع واذا سعى كل لمجرد نفع نفسه أضر بغيره فتوفر الضرر للجميع *

عليك بترتيب أعمالك وأوقاتك فان الترتيب فضيلة تحمل صاحبها على الاهتمام والعمل بما رتبه لنفسه ، وهي تنشط النفوس وتريح البال ويكون صاحبها مستجمعاً لفكرته محافظا على وقته * عليك أن تنام با كراً وتستيقظ من السحر فتؤدى العبادة المفترضة وتأخذ في التهيؤ للدرس بالمطالعة والحفظ ولا تشتغل بالمباحث التى لاشيء فيها الا الحيرة * اقرأ من المجلات والصحف السيارة ماتبلغه قدرتك ولاتغادر منها حرفاً فالبصير البصير بزمانه ، واعتن بفحص كل الامور صغيرها وكبيرها *

لاتفرح إلا بما تأتيه من جليل الاعمال فان النفس اذا كبرت استشعرت الخلود فعملت من الجليل مايبقى على الازمنـة المتطاولة واذا نقصت لم تحفل بمستقبل من الازمنة ولابجميل من الفعل فآثرت عاجل الانتفاع على آجل الذكر* ضن بالحكمة عن بثها لمن لايدريها وصن درر المعانى عن ابتذالها فان ماتأفه ألسن الغوغاء يذهب منه رونقه *

إاق عدوك وصديقك بوجه طلق * واعط كل ذى منصب حقه من التعظيم ولاتعظم جاهلا فان تعظيم الجاهل تقوية له على الجهل ولاتحضر مجلساً يبخس فيه حق الكريم ويكرم اللئيم ولاترض بأن تنزل منزلة است لها بأهل فانه ليس شيء أضر على الدين والدنيا من تصدر غير الاهل في مكان الاهل * ليكن مجلسك هادئاً وحديثك موزونا مرتبـــا واذا جلست فلاتستوفز وتحفظ من تشبيك أصابعك وفرقعتها والعبث بشاربك ولحيتك وخاتمك وتخليل أسنانك وادخال أصبعك في أنفك وكثرة بصاقك وتنحنحك والتمطي والتثاؤب في وجوه الناس في الصلاة وغيرها * اصغ الى الكلام الحق ممن حدثك من غير اظهار تعجب مفرط ولاتسأله اعادته * واسكت عن المضاحك والحكايات * لاتحدث عن إعجابك بولدك وشعرك وكلامك وتصنيفك وسائر مايخصك * اذا خاصمت فتوقر وتحفظ من جهلك وتفكر في حجتك *

لتكن سهل اللقاء والبشاشة ولو في حال المرض وبادر بالتحية والبشر من تلقاه * واكتم بؤسك واجعل شكواك لمن يقدر على غناك ولاتحضر

منازعة فانك لاتخلو من قسط من أذاها ولو بالمطالبة بأداء الشهادة * إياك والانبساط فانه عورة من عوراتك فلاتبذله إلا لمأمون عليه حقيق به * لاتتصنع تصنع المرأة في التزين ولاتتبذل تبذل العبد * ولاتلح فى الحاجات ولاتشجع أحداً على ظلم * لاتعلم أحداً من أهلك وولدك فضلا عن غيرهم مقدار مالك فانهم ان رأوه قليلا هنت عليهم وان رأوه كثيراً لم تبلغ رضاهم قط * واجفهم من غير عنف و ان لهم من غير ضعف * ليكن لك فضل عزلة فان كثرة الخلطة مجلبة الابتذال *

اصغ لمن ينتقد عليك واهجر لمن يطريك بما ليس فيك فان من أظهر عيبك أراد تهذيبك ومن عرفك نقصك أرشدك للفضيلة ولاتغتر بمن يطريك ولما تبلغ الكمال * اذا يئست من التغلب على مناوئك فاسلك معه سبيل المحاسنة دفعا للشر بالمخاشنة فليس من الحزم أن تصارع القوي وأنت ضعيف وتكافح الكمي وأنت أعزل وتعاكس مجرى الظروف وطبيعتها ماترى *

ومما يروى عن على عليه السلام (إياك وفعل القبيح فانه يقبح ذكرك ويكثر وزرك * إياك والغضب فأوله جنون وآخره ندم * إياك أن ترضى عن نفسك فيكثر الساخط عليك * إياك ومصادقة الاحمق فانه يريد أن ينفعك فيضرك * إياك ومصادقة البخيل فانه يقعد بك أحوج ماتكون اليه * إياك والسفه فانه يوحش الرفاق * إياك والعجل فانه مقرون بالعثار * إياك والبطنة فمن لزمها كثرت أسقامه وفسدت أحلامه * إياك والاعجاب وحب الاطراء فان ذلك من أوثق فرص

الشيطان * اياك ومستهجن الكلام فانه يوغر القلوب · اياك ومذموم اللجاج فانه يثير الحروب * اياك ان تستسهل ركوب المعاصى فانها تكسوك فى الدنيا ذلة وتكسبك فى الآخرة سخط الله)

(عليك بالحكمة فانها الحلية * عليك بالحياء فانه عنوان النبل * عليك بالسخاء فانه ثمرة العقل * عليك بالاناة فان المتأنى حرى بالاصابة * عليك بحسن الخلق فانه يكسبك الكرامة ويكفيك الملامة * عليك بلزوم الحلال وحسن البر بالعيال * عليك بالصدقة تنج من دناءة الشح * عود نفسك الجميل فانه يجمل عنك الاحدوثة ويجزل لك المثوبة * عود نفسك حسن الكلام تأمن الملام)

(كن بالوحدة آنس منك بقرناء السوء * كن للمظلوم عونا وللظالم خصما * كن للود حافظا وإن لم تجد محافظا * كن بطيء الغضب سريع الفيء محبا لقبول العذر * كن مؤاخذاً نفسك مغالبا سوء طبعك وإياك أن تحمل ذنوبك على ربك * كن بأسرارك بخيلا ولا تذع سراً أودعته فان الاذاعة خيانة * كن حسن المقال جميل الافعال فان مقال الرجل برهان فضله وفعاله عنوان عقله * كن صموتا من غير عي فان الصمت زينة العالم وستر الجاهل * كن بعدوك العاقل أوثق منك بصديقك الجاهل * كن متصفا بالفضائل مبرأ من الرذائل)

(لاتأس على مافات * لاتقوان مايسوؤك جوابه * لاترغبن في مودة من لم تكشفه * لاتزهدن في شيء حتى تعرفه * لاتضمن مالم تقدر على

الوفاء به لاتخبر بما لم تحط علماً به لاتأمن البلاء فى أمنك ورخائك. لاتعدن شراً ماأدركت به خيراً. لاتعدن خيراً ماأدركت به شراً* لاتتكلم بكل ماتعلم فكفى بذلك جهلا * لاتمسك عن اظهار الحق اذا وجدت له أهلا* لا تنظر الى من قال وانظر الى ماقال لاتستكثرن العطاء وان كثر فان حسن الثناء أكثر منه* لاتمازح الشريف فيحقد عليك ولا تلاح الدنيء فيجترىء عليك لاتظن بكلمة بدرت من أحد سوءا وأنت تجد لها في الخير محتملا * لاتعدن صديقاً من لايواسى بماله لا تعدن غنيا من لم يرزق من ماله لاتزدرين العالم وان كان حقيراً لاتعظمن الاحمق وان كان كبيرا * لاتسرعن الى ارفع موضع فى المجلس فان الموضع الذى ترفع اليه خير من الموضع الذى تحط عنه * لاتفرحن بسقطة غيرك فانك لاتدرى مايحدث بك الزمان * لاتغترن بالامن فانك مأخوذ من مأمنك لاتبهجن بخطأ غيرك فانك لم تملك الاصابة أبدا * لاتتبعن عيوب الناس فان لك من عيوبك ان عقلت مايشغلك أن تعيب أحدا * لاتعود نفسك اليمين فان الحلاف لايسلم من الاثم لاتعود نفسك الغيبة فان معتادها عظيم الجرم * لاتيأس من الزمان اذا منع ولاتثق به اذا أعطى* كن على أعظم الحذر * لايؤنسنك الا الحق ولا يوحشنك الا الباطل * لاتخل نفسك من فكرة تزيدك حكمة وعبرة تفيدك عصمة * لاتسيء الخطاب فيسوءك الجواب *لاتحارب من يعتصم بالدين فان مغالب الدين محروب (١) لاتغالب من لم يستظهر بالحق

(١) فى القاموس حربه حربا كطلبه طلباً سلبه ماله فهو محروب

فان مغالب الحق مغلوب لا تجهل نفسك فان الجاهل بنفسه جاهل بكل شيء * لا تستعمل الرأي فيما لا يدركه البصر ولا يتغلغل اليه الفكر لا تنابذ عدوك ولا تقرع صديقك * واقبل العذر وان كان كذبا * ودع الجواب عن قدرة وان كان لك * لا تترك الاجتهاد في اصلاح نفسك فانه لا يعينك عليها الا الجد لا تضيعن حق أخيك اعتماداً على ما بينك وبينه فليس لك بأخ من أضعت حقه * لا تكونن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً * لا تكثر الضحك فتذهب هيبتك ولا المزاح فيستخف بك لا تكثرن العتاب فانه يورث الضغينة ويدعو الى البغضاء * لا تكثرن الخلوة بالنساء فيمللنك وتملهن * واستبق من نفسك وعقلك بالابطاء عنهن * لا تكن فيما تورد كحاطب ليل وغثاء سيل * اقبل النصيحة ممن نصحك وتلقّها بالطاعة ممن حملها اليك * واعلم أن الله سبحانه لم يمدح من القلوب إلا أوعاها للحكمة ومن الناس الا أسرعهم الى الحق إجابة)

الباب الثانى : أدب الدرس وفيه مطالب

١ - ﴿ المدارس وأساتذتها ﴾

لا يخفي أن الغاية من تشييد المدارس هى نشر العلوم والمعارف واخراج الناس من ظلمة الجهالات الى نور الهداية والعرفان وإيجاد

الملكات الصالحة فى الصغار وتنمية العواطف الدينيـة وتقويتها فيهم وتأهيلهم علما وعملا للجهاد فى هذه الحياة واخراجهم منها وقد ربى فيهم الكمال الروحانى والتعبد الدينى والذوق السليم وحب المعرفة وتمكنت فيهم ملكة البحث والاستدلال وقوى فيهم الميل الى مطالعة سير العظماء وما أتوا من عظيم الافعال فمن أخص واجبات معلميهم والحالة هذه أن يكونوا قدوة حسنة لهم وأن يقووا فيهم وهم فى بدء نشأتهم حب العمل وامتلاك النفس والصبر والثبات والشجاعة وأن يربوهم على احترام كل عظيم وحب الحق والعدل والعفة والصدق وكرم الخلق حتى يكونوا أعضاء حية نافعة في جسم المجتمع الذي يعيشون فيه

٢ - ﴿ أدب المعلم والمربى ﴾

المعلم — وهو الاستاذ والمؤدب والمربى : إنسان أكملته التربيـة يحاول أن ينقل صورته ونظام أحواله الى غيره ليكون خلفا منه فلم يمنح حق سياسة التهـــذيب لاظهار جلاله ورغبة فى تعظيمه ولـكن ليدير شؤون تلامذته ويبحث عن الطرق المهمة لافادتهم * فمن أهم آدابه التواضع ومجانبـــة العجب فان التواضع عطوف والعجب منفر وأن يدع التكلف لما لا يحسن وأن لا يستنكف من تعلم ما ليس عنده وأن يستقل ما أوتيه ليستزيد وأن لا يتصنع بما أدرك وأن لا يجهل من نفسه مبلغ علمها ولا يتجاوز بهـا قدر حقها وأن يكون من شيمته العمل بعلمه

وحث النفس على أن تأتمر بما يأمر به ، وان يكون في مشيه وسكونه واشارته بالتحية وفي منظره اذا تبسم ، وفى منطقه اذا تكلم مايشير الى وقاره وكمال عقله ، وحسن خلقه ، سيما فى المجامع والمحافل ، وان لاينقطع عن العلم الى العمل ، فان نوم العالم خير من عبادة الجاهل ، وان لا يبخل بتعليم مايحسن ، ولا يمتنع من افادة مايعلم فان البخل به لؤم وظلم ، والمنع منه حسد واثم * وفي التعليم زيادة العلم ، واتقان الحفظ ، وان يقرأ من متون كل فن ابلغها عبارة ، واجمعها قواعد ، واوضحها مقاصد * وان يقصد التآليف القديمة لانها اسهل موردا واغزر مادة ، مع خلوها من التعقيد ، وبعدها عن المشاغبات اللفظية * وليترك الكتب الحديثة للمنقطعين لفهمها بدون ملل ولا حساب للوقت *

وان يتجنب منها ماهو كالالغاز والاحاجي ، وما يحوج الى عناء فى حل تراكيبه وعلله * وان ينظر فى الشروح المطولة والحواشي نظرة المطالع تقوية للفهم لاقصد الدراسة ، ضنا على الزمن ان يصرف في موضوع واحد يفوته من جرائه فنون شتى * وان ينقب طول حياته عن أهم المؤلفات واقربها فائدة وابدعها اسلوبا * فاذا ظفر فليسع بطبعها رجاء تعميم نفعها ، وان ينظر في شؤون تلامذته ، ويمهد لهم سبيل المجد والارتقاء * وان يكون لهم مثال العقل ونموذج الوقار والصلاح * وان ينصح لهم ، ويرفق بهم ويبذل المجهود في رفدهم ومعونتهم ، وان لايحقر ناشئا ، ولا يستصغر مبتدئا ، ولا يعنف

متعلما . وان يوجه ذهن الطالب الى تعقل المسائل وفهم المعانى من أقرب الوجوه ، متجنبا الاحتمالات البعيدة وتكلف التعاسيف ، وأن يحضر درسه قبل القائه فيراجع مايحتاج لمراجعته من الكتب لتصحيح الفاظ وتحقيق بحث ، وان لايأتى للطلبة فى أثناء الدرس بما يشوش الفهم ، فلا يغرب بالاكثار من الاعتراضات اللفظية والجواب عنها بالاحتمالات فان ذلك مضيعة للاوقات * وأن لايخلط مسائل علم بمسائل علم آخر الاماجاء عرضاً وتوقف عليها فهم المقام ، وان لا يمنع طالبا ولا يؤيسه ، لما في ذلك من قطع الرغبات ، وان يعزمهم على المناقشة فيما يصل المتعلم إلى المطلوب * قال بعضهم . وهي طريقة سقراط ، وتسمى طريقة التحاور ، — وهي أن لا يلقن المعلم الطلبة ما يريد من الاحكام والمسائل ليحفظوها عن ظهر قلب أو يقلدوه مجرد تقليد في فهمها ولكن لا يزال معهم في أخذ ورد وبحث وتمثيل ، حتى يصل بهم الى ما يريد * وان يعزمهم أيضا على القدرة على التعبير عما يدركونه بعد ايضاح الموضوع لهم ايضاحا تاما * وان يعزمهم على اثبات المدعى بالبرهان الصحيح الثابت الذى لا يقبل النقض لتجرى نفوسهم فى حركة المعقولات ، ويحيي فيها قوة التأمل والتعقل حتى تصير ملكة راسخة * وان يقتلع جذور التعصب من قلوب المتعلمين ، ويحببهم الى الانصاف ، فان التعصب سبب تفريق الناس بعضهم عن بعض ، وجذوة حجب العقول عن الحق . والانصاف راحة لانه يرفع الخلاف ويوجب الائتلاف

٣ - ﴿ أدب المتعلم ﴾

من أهم آدابه أن يسترشد بمعلم خبير ناصح حكيم. سمح بعلمه. متأن في تعليمه * وأن يرغب في العلم رغبة متحقق بفضائله واثق بمنافعه * وأن يكون الباعث له طلب مرضاة مولاه والعمل بوصاياه * وان لا يطلبه لمراء أو رياء . فان المارى به منبوذ لا ينتفع . والمرائى مرذول لا يرتفع * وأن يبتدىء بأوائل العلوم ليتدرج الى آخرها * ومن لم يحسن البداية وساوى ذوي النهاية * يرى فى لغط مضل أو غلط مذل وكان ممن رضى بخداع نفسه * وقنع بمداهنة حسه * وان لا يني فى طلبه * وأن ينتهز الفرصة به * فربما شح الزمان بما سمح . وضن بما منح * وأن لا يدعوه ما استصعب عليه الى تركه * فان ذلك مطية المقصرين * وان يكثر من المذاكرة ليستفيد ما لم يعلم * ويحفظ ما علم . وان لا يؤيسه تبلد ذهنه ونبو فطنته * فان الدأب يذلل الصعاب ويدك الهضاب * وان لا يلهيه عن طلبه كثرة مال وجده ولا نفوذ أمر وعلو منزلة فان من نفذ أمره فهو الى العلم أحوج وان لا يمنعه كبر سنه وتقصيره في صغره عن الجد في اعلاء منزلته بالتعلم في كبره * وان لا تصده شؤون كسبه عن أخذ حظ منه * وان تكون سيرته الشخصية ملائمة لشرف العلم والدين * وان يحرص على كتابة كل ما يسمعه من تحقيق في بحث * وحكمة فى تشريع * ونكتة

غريبة في بابها * وقصة بديعة كما كان عليه السلف[1] وخلدوا لهم بذلك ذكراً لا ينسى * وان يعتني باجادة خطه * وبملكة سرعة القلم . وحفظ الكتابة من التحريف * وان يصحب معه على المدى مذكرة (دفتراً) في جيبه * ليكتب خواطره ونفيس ما يسمعه من أي شخص كان * فان اهمال الفوائد خسارة كبرى « والعلم صيد والكتابة قيده »

٤ – ﴿ أدب المتعلم فى درسه ﴾

عليه ان يكدّ في النظر نفسه ، وان يكثر من المقروء درسه * وان لايضجر من معاناة الحفظ ومراعاته . وان لا يغفل عن تقييد نفائسه بالكتابة ثقة بما استقر فى ذهنه * فان الشك معترض والنسيان طاريء * وان يبحث عن الحقائق * ويربى قوة حركة فكره فى المعقولات لينمو عنده الشغف في العلم * ومن أهم ما يوصى به الثبات والصبر * وعدم التقلب والتضجر * وكل عمل في الوجود فهو محتاج للثبات بنسبة ما فيه من المشاق ، وما يحول دونه من العوائق التى لا يزيلها إلا المثابرة عليه والثبات له ، فان الدنيا ميدان تتسابق فيه الهمم ، وتتبارى عليه الأمم ، فمن سبق فاز بالحسنى وكانت يده فى

---

(١) نقل العلامة الزمخشري في تفسير قوله تعالى « وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة » عن أبي حاتم السجستاني انه كان يكتب عن الاصمعي كل شيء يلفظ به من فوائد العلم حتى قال فيه : أنت شبيه الحفظة تكتب لفظ اللفظة : فقال أبو حاتم وهذا أيضاً مما يكتب اﻫ

الوجود هي العليا ، ومن قصر كانت يده هي السفلى، وعاش عيشة الاذل الادنى ، وانما ينال السبق بالثبات ، وليس من سبيل للنجاح الا بالاجتهاد وقد حكي أن كسرى سئل * أي أولادك أحب اليك قال : أرغبهم في الادب ، وأجزعهم من العار ، وأنظرهم الى الطبقة التى فوقه * وما الطف قول بديع الزمان في نصيحته لابن أخته : (أنت ولدي مادمت والعلم شأنك، والمدرسة مكانك، والمحبرة حليفك ، والدفتر اليفك، فان قصرت ولا أخالك ، فغيرى خالك ، والسلام)

٥ – ﴿ أدب المتعلم مع أساتذته ﴾

عليه أن يبدأه بالتحية ، ويقل بين يديه الكلام ، وان يتملق له ليستخرج مكنون علمه ، ويتذلل له لينال دوام صبره عليه ، ويرعى مقامه رعاية الوالد ، ويبالغ في خدمته وعرفان حقه واكرامه ، ويجلس بين يديه في غاية الادب والانتباه والاصغاء والسكوت ، لا يلعب بيديه ولا يخبط برجليه ، ولا يلتفت الى ورائه ، ولا يشتغل بمحادثة غيره ، ولا يبادر الى تحية أحد قبله ، ولا يتكلم ما لم يسأله أستاذه ، ولا يقول في معارضة قوله قال فلان بخلاف ما قلت ، ولا يشير عليه بخلاف رأيه فيرى أنه أعلم بالصواب من أستاذه ولا يشاور جليسه ، ولا يناجيه في مجلسه ، ولا يلتفت الى الجوانب ، ولا يكثر عليه عند ملله ، واذا قام قام له ، ولا يتبعه بكلامه وسؤاله ، ولا يسأله في طريقه الى أن يبلغ منزله ، وليحذر الانبساط معه وان آنسه ، والادلال عليه وان تقدمت له صحبة ، وان

لا تدعوه جودة ذكائه على اعنات معلمه ، والازراء به . وان لا يغلو في تعظيمه غلواً يبعثه على قبول الشبهة منه والتقليد فيما أخذ عنه . حتى يرى قوله دليلا وان لم يستدل . وان اعتقاده حجة وان لم يحتج . ويفضى به الى التسليم الاعمى . بل لا بد من النقد بمحك النظر . وقبول ما رجحت صحته بميزان الحق . وان لا يستحى من السؤال في موضعه ازالة لشكه ونفياً لشبهته . وان يستمر فى تلقي الكتاب الذي ابتدأ فيه على الاستاذ الذى شرع فى تلقيه عنـه حتى يتمه . وان لا ينتقل الى أرقى منه قبل اكماله . وأن يأخذ حظه ممن وجد طلبته عنده من نبيه وخامل . ولا يطلب الصيت باتباع الوجهاء من العلماء اذا كان النفع بغيرهم أعم . وان لا يطلب البعيـد منهم إذا سهل القريب ورب امرء يقبع من بعد استهانة بمن قرب . فلا يدرك محبوباً ولا يظفر بطائل . وفي المثل : « العالم كالكعبة يأتيها البعداء . ويزهد فيها القرباء »

٦ - ﴿ أدب المتعلم فى محفل الدرس بين يدى المعلم ﴾

يلزم الطالب أن يجلس فى محفـل الدرس بوقار . وان يصغى الى تقرير الاستاذ بأذن واعية . وان ينظر الى الاستاذ حين القائه . وأن ينظر فى الكتاب اذا قرأ منه الاستاذ . وأن يجتنب الالتفات ساعة الالقاء يمنة أو يسرة . وكذا محادثة أحد أو الاشارة اليه أو أمره بالتقدم أو التأخر . وليهتم بشرح استاذه وتفهمه حرصاً أن يتفلت بغفلته شيء

منه . وان يجتنب اجابة سائل للاستاذ قبله. فان المبادرة لذلك زلة كبرى يتحتم تجنبها . وان يصغى لمن سأل إصغاء تاما وان يتجنب الهزء بمن زل فى سؤال . أو كان مثله واضحا لا يهتم فيه . فان الافهام تتباين . وان يحذر مسابقة الاستاذ فى القائه اذا وقف لتنفس أوتأمل . وانلايضحك بلا داع ولا يبدي مضحكا . ولا يتغامز مع أحد ولا يمزح معه . ولا يسوق حكاية أو نادرة أو أمراً مما جرى له . وان يسكن لمن استعاد شرح الاستاذ ولم يتفطن للبحث ولا يتضجر منه . وان يدافع النوم مدافعةالعدو الالد . وان يفسح للقادم ويبش له . وان لا يجمد فىوجهه. وان يقدم ذا الفضل عليه . وان لا يقوم لداخل إلا إذا قام الاستاذ وان لا يعتب على من زجره الاستاذ أو أنبه . ولا يشمت به ولا يحقد عليه . وان يقفل باب الخصام والشحناء مع أخيه . وان لا يكلم غير أستاذه . فلا يسمح له بمخاطبة غيره . ولا يجيبه الا لضرورة يفوت الامر بتأخيرها . وان لا يجيب من استوضحه البحث . بل يستمهله إلى فراغ الدرس . وللطالب ان يكتب ما القاه الاستاذ باذنه . ويشترط عرضه عليه بعد . ولا يسوغ للطالب ان يحكي مباحث الدرس لمن لايدرى قيمتها . ومن اعتاد مكانا فى المحفل فسبق اليه سقط حقه . فلا يزاحم لاجله لان المتخلف يجلس حيث انتهى به المجلس . وليحمل كتابه فى يده اليمنى . وليحذر وضع الكراس فى الجيب أو الطوق . بل يوضع في محفظة دوما ويزجر القادم للدرس بلا كتاب ويؤنب . ولايضع فوق

الكتاب دواة ولا خرقة ولا يمتهن شيئاً . وللطالب ان يسأل في الموضوع بادب استفهاما لا جدلا . والطالب حر في ابداء رأى ـ في مسألة ـ يعرضه على الاستاذ ليفحصه . ولا يجادل الاستاذ في رأيه . وعليه أن يقف عند إشارته . ويعمل بنصيحته ويذعن له اذعان المريض للطبيب لانه مؤتمن . وللطالب أن يستعيد المسألة مراراً بأدب وعقل . وينبغي أن يعلم الطلبة انهم إخوان حب واستفادة وخروج من ظلمة الجهل إلى نور العلم فليتراحموا وليتآلفوا ولا يتخالفوا والمودة نسب ورحم . والاخوة في الله آكد من وشيج الرحم . فليناضلوا عن صاحبهم بالمدافعة عنه وحفظ غيبته . وعليهم أن يعرفوا للذكي وللمحصل قدره ولا يعاتب من ترك الحضور ولا يحرص على صحبته (١) وليجتنب الطالب الاعتياد على كثرة الجدال والحوار فيمقت ويضيع الصواب عليه ومن قدم إلى الدرس فلينزع طيلسانه وما يغطي جبهته وأذنه ولا يجلس منحنيا فان من اعتاد انحناء رأسه ومنكبه ضاق صدره وتغور بطنه وضعفت عضلات ظهره وكلما تقدم في العمر يزداد هذا العيب فيه فنصب القامة هو اللازم وفيه تقليل تعب العضلات ولذا كان المنتصب يقدر أن يقف زمانا طويلا ويمشي مسافة بعيدة ويشتغل أكثر من المنحني * وعلى الغني أن يتفقد البائس من إخوانه وعليهم أن يسألوا عن الغائب فيعاد لمرض ويهنأ لفرح ويعزى لمصيبة ويشاطر في الاسى ومن قعد عن ذلك فلا ثقة به ويمحى اسمه من دفتر

---

(١) هذا في الدروس المطلقة . وأما المقيدة بمدرسة فلا يهمل في مواظبته على الحضور بل يراقب فيها *

الصادقين فى الاخوة ومن تبين أنه فاسد الاخلاق والآداب فيتحتم طرده • ومن مخائل النجابة أن لا تكاد تبدر من الطالب بادرة إلا وهو يعض انامله ندما على تفريطه في جانب الادب والعلم لما يشعر به من تأنيب ضميره قبل تأنيب أستاذه فتراه يحرص بعدها على أن يكون قدوة في الطاعة و الامتثال وحسن السير شعوراً منه بان وازع الادب يزجره ويناقشه الحساب على كل ما يفرط منه . وجدير بمن درس هذه الآداب وتحلى بها أن لا يمضى عليه ردح من الدهر حتي يصبح رجلا في العزم والقول والعمل واقفا من أسرار الحياة على مالم يكن ليعرفه ناشئاعلى أمتن الدعائم التى أسس عليها بناء الشريعة السمحاء عاملا بما علمه من ثمار آدابها «ولكل عصرحاجيات ولكل طور من أطوار الامم النامية كماليات لابد من استيفائها كلما تدرجت الامة في معارج الارتقاء وجرت في ميدان الفلاح والتقدم على السنة الفطرية التى تدور حول محور هذا الكون البديع النظام »

٧ — ﴿ أدب الفتى مع رفقائه فى مدرسته أو محلته ﴾

رفقاء الفتى في المحلة وفي المكتب والمدرسة هم أقرب الناس اليه بعد والديه واخوانه وأقاربه ويراهم أكثر من غيرهم فيلزم ان يعاشرهم بالمعروف ليدخل عليهم السرور برؤيته وتنشرح صدورهم من ملاقاته ويكلمهم بالمعروف ويقابلهم بالبشاشة واللطف ويساعدهم على دفع المضرة وجلب المنفعة بالطرق الحسنة ولا يقابلهم بمكروه ولا يتكلم

في حقهم بما يكدر الخاطر ولا يسلط عليهم مؤذيا ولا يعاشر منهم سيء الخلق قليل الادب معتاداً على أمور ذميمة . ومن سابه فلا يجيبه الا بالنصيحة والنهى عن السباب وان لم ينته احترز من ملاقاته بالمرة واستعان باخوانه الكاملين على تهذيب أخلاق ذلك المسكين ولا يطيل النزاع فانه يجر إلى أقبح منه ولا يتعاظم على رفقائه ولا غيرهم ولا يخبرهم بما يكرهون أو بأموز خرافية غير معقولة ولا مقبولة لئلا ينفروا منه ولا يصح ان يخبر أحداً بما يقع في بيته من أبيه وأمه أو أحد اخوانه لانه يكون خائناً لا يكتم السر فيستخف بعقله ويهزأ به ولا يصرف أوقاته مع رفقائه الا بما يعود على نفسه وعليهم بالمنفعة . ولا يترك درسه أو صنعته أو قضاء مصلحته لاجل ان يبسط رفقاءه . فانه يكون كالبخور يعطر الناس ويحرق نفسه * أى ينفع الناس ويضر بنفسه . وهو عمل لا يليق بالعقلاء . وينبغي له أن يسابق إخوانه في المدرسة والمكتب الى فهم الدروس ومعرفتها . ويجتهد في أن يتقدمهم ويساعدهم على التعلم وتكون له غيرة ونشاط في الحفظ والفهم وتكون له مذاكرة مع أقرانه ومباحثة علمية * ومن ناقشه أقنعه بالدليل بعد التأمل الكافي واستعمال غاية الادب * ومن ظهر خطؤه وان الحق مع غيره فلا يعاند ولا يكابر بل يمتثل للحق ويشكر صاحبه الذي علمه . وبالجملة فما أحسن حال التلميذ الذى يهتم بدروسه بكل دقة واحتراس ويسابق إخوانه حتى يكون من أحاسن طبقته . وما أسوأ الذى يكون

بليداً متكاسلا فاقد الغيرة من إخوانه المتقدمين عليه الفائقين فى المعرفة لانه لا يزال محروما متأخراً *

ولا يجوز تضييع الزمن في الهزل والهزء والسخرية والكلام السمج الذي يسمونه « التنكيت » الخارج عن حدود الادب فان هؤلاء المنكتين ينالهم الذل والصغار واحتقار العقلاء لهم فيكبرون وهم الاصغرون كما انه لا ينبغي أن يكون الطالب عبوس الوجه بادى الكمد والنكد فان هذا يضره وينفر الناس عن معاشرته ومصافاته ويجعله ثقيلا على القلوب مكروها في النفوس * والخروج عن الاعتدال مذموم في كل شيء بل يلزم أن يكون بشوش الوجه ظاهر النشاط والانبساط يضحك عند ما يوجب الضحك لا عند كل شيء ويكون ضحكه التبسم بلا رفع صوت وعليه ان يكون نظيف الوجه والعينين واليدين وسائر البدن والثياب فان الوسخ بغيض للناس تسرع اليه الامراض وضيق النفس وليحذر من مسح الحبر بثوبه لئلا يقذره ولا بفمه لئلا يحصل له ضرر مما عساه يوجد فيه ولا يعتاد دلك عينيه بيده ولو كانت يده نظيفة فان العين لطيفة لا تتحمل كثرة الملامسة والدلك وليطرد الذباب عنه فانه كثيراً ما يكون فى الاشياء القذرة فيحملها برجله فيقذر ما يصيبه أو يضره ولا ينبغى ان يطأطىء رأسه ويثنى رقبته في مشيه أو قعوده كالذليل الجبان بل يستعمل النشاط والهمة فى جميع الافعال فيرفع رأسه على الاستقامة ويعدل قامته ويقوم ظهره ولا يقوسه ولا يسرع فى المشى جداً

ولا يبطىء بل يتوسط ويكون الى السرعة أقرب ولا يتكسر فى الكلام ولا يكثر في القول حتى يثقل على النفس ولا يتركه بالمرة كالاخرس بل يتكلم اذا اقتضاه ويسكت اذا اقتضاه ولا يتكبر ويخاطب بغلظة ولا يمتهن نفسه بالدناءة والمسكنة وزيادة تعظيم الناس فوق الحد المقبول فان الخروج عن الحد جهل وغلط وخير الامور الوسط *

٨ - ﴿ مكافأة المجتهدين ﴾

تهتم المدارس العليا لوضع أنواع المكافأة للمجتهدين من طلبتها فى مقابلة احسانهم رغبة فى حملهم على النشاط والمثابرة على العمل وفي احداث الغيرة في نفوس التلامذة لان المتعلم المجتهد حريص على الارتقاء ومن طبعه مقارنة نفسه بغيره فمن المكافئات ترفيع الاماكن وتوجيه الامتيازات المدرسية واهداء تحف وقطع أدبية والمدح والثناء الا أنه لايسوغ الاطراء فيه ولا الاكثار منه حتى يكون له وقع فى النفوس وهذا مرجعه حكمة المعلم وعقله *

٩ - ﴿ مجازاة المسيئين ﴾

كما دعت الضرورة الى وضع أنواع المكافأة الحسنة كما قدمنا كذلك هناك ضرورة الى وضع أنواع للمجازاة على الاساءة حذر الوقوع فى مخالفة القوانين المدرسية فمنها : اللوم . والتعزير . والمنع من الفسح والرياضة . والتكليف بحفظ شيء أو كتابته جملة مرات . وهذا الاخير

مفيد اذا كان سبب العقاب اهمال التلميذ دروسه* وآخر العقوبات الطرد ولا يصار اليه الا اذا لم يفـد غيره ويجب على المعلم أن يكون حكيما في مجازاته أديبآ في عباراته مجانبآ لفحش الكلام وبذاءته في الزجر فان لذلك اضراراً . منها : اعتياد التلميذ على حفظها فيشيب على ما شب عليه . ومنها : ايراث الغل والحقد في نفسه اذا توالى على سمعه الحط من كرامته أو كرامة أهله والمبالغة في احتقاره وازدرائه ومنها انقباض نفسه عند رؤية المعلم والاجتماع به مما يدعو الى الخيبة وعدم النجاح بسبب عدم استفادتهم منه إذ هو الذى صرف ميولهم عنه وكره اليهم طلعته وسماع صوته. يقول بعضهم مذيلا هـذا الموضوع لقد مضى زمن طويل لم يعرف من أنواع التربية الا العقوبات البدنية حتى أتت هذه السنون الاخيرة فتصدى كثيرون من علماء التربيـة للطعن فيها حتى ان كثيراً منهم سماها التربية الوحشية غير اننا نريد البحث في أنه هل من حاجة اليها في بعض الاوقات واذا كان الامر كذلك فما هي تلك الاوقات التى توقع فيها ؟ ثم أجاب قائلا :

اجمع علماء التربية على أن استعمال العقوبات البدنيـة ضروري في بعض الاحوال أى فيما اذا ارتـكب التلميـذ ما ينافي الآداب والسلوك الحسن * أما في مثل انتهاكه حرمة قانون من قوانين النظام المدرسى فانه يكتفي بغير ذلك من أنواع العقوبات ويكفي في تقدير العقوبة حزم المؤدب وتبصره * ومن المعلوم أن تـكرار العقوبات البدنية يدعو الى

التنافر بين المعلم والمتعلم مما لا يرجى معه نجاح ولا فلاح لان المتعلم متى انقبضت نفسه عن معلمه انقبضت نفسه عن كل شيء يلقيه اليه ذلك المعلم أو يسمعه منه *

الباب الثالث : الآداب المنزلية

﴿ وفيه مطالـب ﴾

١ – ﴿ الأدب مع الوالدين ﴾

هو أن يسمع كلامهما ويقوم لقيامهما ويمتثل أمرهما ولا يمشى أمامهما ولا يرفع صوته فوق أصواتهما ويلبي دعوتهما ويحرص على مرضاتهما ويخفض لهما الجناح ويحسن اليهما جهـده ويبرهما ويكرمهما في حالتي عسره ويسره ويتوخى مسرتهما وترويح قلوبهما ولا يمن عليهما بالبر لهما ولا بالقيام بأمرهما ولا ينظر اليهما شزراً ولا يقطب وجهه في وجوههما ولا يسافر الا باذنهما *

٢ – ﴿ الأدب مع الأخوة من النسب ﴾

يلزم الفتى أن يتأدب معهم ويحترمهم ويعرف أنهم أقرب الناس اليه بعـد الابوين ويحب لهم النفع والشرف اكثر من جميع الناس * فأما أخوه الاكبر فانه يجعله في منزلة أبيه فلا يرفع صوته عليـه ولا ينازعه ولا يخالفه فى وصاياه الجليلة ليكسب حبه ويسعى فى منافعه * وأما الذين هم أصغر منه فيواسيهم ويشفق عليهم ولا يضربهم ولا يشتمهم ويلاطفهم

ويستجلب محبتهم بحسن الاخـلاق ولطف المعاملة * واذا رأى منهم مالا يليق فعليه أن ينهاهم باللطف والمعروف ويعرفهم ضرره ولا يسعى بهم عند أبيه بالفتنة فتكثر الكراهة بينهم ويألفون الشر ويعتادونه بسببه فيعود الوبال عليهم وجلىّ أن إخوة المرء هم أعوانه على سعادته وحسن حاله *

٣ - ﴿ أدب الخدمة ومعاملتهم ﴾

يجب فى الخادم أن يكون صالحاً عفيفاً أميناً نشيطاً ذكياً فهو يقوم بحق الله بأداء ما أوجبه وحق من يخدمه فيعف عن حرمه ويغض من طرفه ويحفظ ما ائتمن عليه من مال وغيره ويخف للقيام بما يطلب منه بنشاط واعتناء ويفطن لما ينبغى أن يراد منه فيدرى حسنه من قبحه وغشه من نصحه فيكون رجل حياة وانسان معيشة *

وعلى سيد الخادم أن يرشده لمواقع الصواب وأصول واجباته وما ينبغي أن يتصف به * ولا يكلفه ما لا يطيق ولا يشق عليه وأن يربيه باللطف والعقل ولا يهينه ببذىء الكلام وجافي اللفظ مما يجرح قلبه ويذل نفسه إذ ليس للسيد أن يتسلط على خادمه بذلك لا شرعاً ولا عرفا

ويجب على السيد ان يسمح للخادم بساعة في النهار يتروح فيها ويتمتع بشؤونه وأن يجرى عليه مرتباً يكفيه ليكفه عن التشوف لما قد يسرقه ويختلسه فان ما ينقصه السيد من مرتبه ربما اختلس من ماله وأن يزيد في راتبه كلما رآه يزيد فى صدق الخدمة وحسن المعاملة ولا

ينبغي للسيد ان يسرع فى تبديل الخادم بمجرد هفوة أو حصول صغيرة وليتذكر أن لا معصوم الا المعصوم فان في تبديله مضاراً عظيمة واتعابا جسيمة * نعم اذا علم ان فيه خلة فاسدة أو ملكة رديئة أو إصراراً على فحشاء فانه يطرده عن بابه ويباعده من رحابه *

وعلى الابناء ان يحتفظوا بخادم أبيهم أو جدهم وان يحترموه اتقادم خدمته لهم وتربيته لهم صغاراً وان يرعوا حقه وحق آله وأولاده اعترافا بالجميل * ومن الحمق وقلة العقل طرد الخادم الذي تقادم عهده واطلع على دخائل سيده وأسرار حرمه بلا باعث كبير أو ابعاد خادم أبيه وقدعرف شدة اتصاله به فان هذا من لؤم الطبع وكفران العشرة وقلة المروءة

وبالجملة فكل من أراد ان يهنأ باله مع خادمه فليحسن معاملته ولينزله منزلة أحد عائلته وليبره فوق ما يأمل ولا ينل منه بما يجرح قلبه وليرفق به في سره وعلنه وليغض عما يجوز الغض عنه وليرحم تعبه ولا يؤرقه لحاجته اذا أخذ مضجعه بل يشفق على راحته *

ويحكى عن بعض خيار الامراء انه كان يحمل فرش ضيوفه على رأسه ليلاالى محال نومهم ولا يوقظ خادمه لحملها شفقة منه ورحمة والراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى *

٤ – ﴿ الأدب فى الزواج والسن المدعىّ فيه ﴾[١]

الزواج قانون حيوي عام لجميع السلسلة الحيوانية وهو ضروري

(١) من كتاب صحة المرأة

لحفظ النوع الانسانى وتقدمه ولم يجتمع في شيء ما اجتمع في الزواج من دواعى الشرع والعقل والطبع * فأما دواعى الشرع فقد نص عليه الكتاب والسنة والاجماع * وأما العقل فان كل عاقل يحب أن يبقى اسمه ويخلد ذكره ولايتأتى ذلك الا بالذرية * وأما الطبع فانه يدعو الى تحقيق ما أعد له من المباضعة *

واذا كان الزواج ضروريا لحفظ النوع الانسانى وبقائه ، فلايخلو كذلك من فوائد عظيمة للشخص المفرد ، وذلك انه يبعده عن ارتكاب الجرائم والتلوث بأدران الدنايا والخسائس ، والمرأة أحوج من الرجل لانه صون لها ، وأعون على صحتها في الحال والاستقبال ، ولاخوف عليها من أخطار الامومة مادامت الفوائد الصحية متبعة كل الاتباع

ولما كان أهم أغراض الزواج هو التناسل للحصول على الذرية لبقاء النوع الانسانى وتقدمه ، فمن البديهى أن يبتدأ الزواج من السن الذى يشعر فيه الانسان بالحاجة التناسلية ، وأن يكون سن الزواج للمرأة ليس أقل من (١٤) سنة ، ولكن لايجب تأخيره عن ذلك كثيراً *

وان تقدم الزواج عن ذلك كان عديم الفائدة ومضراً أحيانا للمرأة ولاولادها لجملة أمور : (منها) ان الاعضاء التناسلية لم تكن قد بلغت حدها النهائي في النمو . (ومنها) ان البنات المتزوجات صغيرات السن عن الحد الذى قررناه يكون زواجهن في الغالب أقل إخصابا — أي أقل نسلا — وأولادهن تكون حياتهم قليلة من غيرهم . (ومنها) ان

المبكرات في الزواج لايتوفر فيهن الشروط الجسمية والعقليـــة اللازمة للزوج والامومة ، وكلما تأخر زواجهن اكتسبن تجارب تؤهلهن للزواج (ومنها) ان النساء المتزوجات وهن صغيرات نسبة الوفيات فيهن أكثر منها في المتزوجات في السن المعتدل . (ومنهـا) ان صغر الام في العمر ينشأ عنـه ضعف في الطفل ، وخصوصاً في الولد البكرى . واذا تأخر الزواج الى مابعد الخامسة والعشرين أو الثلاثين يكون الحمل والولادة في الغالب أكثر تعباً على المرأة ، لان الاعضاء تكون قد انتهت من النمو وثبتت في أوضاعها ، وصار أى تغير في أوضاعها متعذراً ولايخلو من خطر ، والولادة عندهن غالباً تكون عسرة *

وعلى العموم فان الشبوبية والتقدم في السن كلاهما يضعف التغذية فى النسل ، وأولادهم يغلب فيهم الضعف ونقص القوة الحيوية . ومن الضرورى جداً أن يكون الزوج أكبر من الزوجة لجملة اعتبارات : (منها) ان الرجل ينمو ببطء عن المرأة . (ومنها) أن المرأة تنتهي حياتها التناسلية سن اليأس قبل الرجل بكثير . (ومنها) ان الرجل لايكون له السلطة التامة عليها اذا كان أصغر منها . (ومنها) ان الرجل اذا كان في سن العشرين مثلا يكون قدأسس له مركزاً معاشياً يسمح له بالزواج ، والمرأة بعد اليأس لاتتزوج أصلا لان الغرض من الزواج وهو التناسل مفقود منها .

٥ - ﴿ أدب المرأة الأيم والمتزوجة ﴾

عليها أن تلازم بيتها ، وأن لا تكثر من طلوعها ، وأن لا ترتدى الا بماله لون واحد ، وتجتنب المزركش الكثير الالوان . وتجتنب شد وسطها ، وما يحاكى حجم بدنها ، وتجتهد فى تغطية وجهها بالحجاب ، ولا تستعمل الشفاف (١) وان تحرص على الشغل والعمل ، ومايعين على دفع الفاقة والملل ، وأن تحفظ بعلها فى غيبته وحضرته وتطالب مسرته في جميع أمورها ، ولا تخونه في نفسها وماله ، ولا تخرج من البيت الا باذنه بهيئة لا تستلفت أبصار الناس اليها ، ولا يشم منها رائحة عطرية ولا تتعرف الى صديق بعلها في حاجاتها : بل تتنكر على من يظن انه يعرفها او تعرفه · وأن يكون همها صلاح شأنها وتدبير بيتها . مقبلة على مهماتها وعباداتها . وأن لا تكثر الكلام مع اجنبي من وراء حجاب وأن تقصر لسانها عن مراجعة الزوج وأهله . واذا مات زوجها فلا يجوز لها ان تحد عليه (٢) أكثر من اربعة أشهر وعشر . وتجتنب الطيب والزينة فيهن والتعرض للزواج *

---

(١) لايزال عقلاء الامم التي تبيح رفع الحجاب ، تئن من كشف النقاب ، اذ دلتها المثلات أن ذلك مجلبة لما لايحصي من المخزيات والمنكرات·وقد أرشدتها الحوادث المتكررة بقوارع تتفتت منها الاكباد ،وتذوب الاحساسات حسرات *قص بليغ حادثة مؤثرة منها ثم قال فى أثرها : فياليتها الغادة المستترة بحجاب الادب ،حيي الجدران التي تحرسك وقبلي القناع الذي يحفظ وجهك ، من ألحاظ الغدر ، وسحر النواظر القاتلة سلام على تلك القيود التي تربط شهامتك ، سلام على ذلك الحجاب الذي يرفع جلالك الى أوج الواجب · وياليت تلك القيود وذلك الحجاب يعمان الارض باسرها اذ يعرف الناس ماهية الشمائل ومحور مدار الكائنات (٢) أحدت المرأة امتنعت عن الزينة

٦ - ﴿ أدب معاشرة الزوجة ﴾

يلزم حسن الخلق معها ، واحتمال الاذى منها ، وكف الضرر عنها والحلم عند طيشها وغضبها ، والمداعبة تطييباً لقلبها ، وأن لاينبسط في الموافقة باتباع هواها الى حد يفسد خلقها ، وتسقط هيبته عندها ، فلا يدع الانقباض مارأى منكراً ، ولا يفتح باب المساعدة مارأى محظوراً وان يعتدل في الغيرة فلا يتغافل عما تخشى عواقبه ، ولا يبالغ فى اساءة الظن والتعنت وتجسس البواطن . وأن يعتدل في النفقة فلا يسرف ولا يقتر ولا يتبعه منة ولا أذى ، وأن يامرها بالتصدق ببقايا الطعام وما يفسد لو ترك ، ولا يستأثر عنها بمأكول طيب فانه شح موغر للصدور ولا يخبرها بقدر ماله ، ولا يستكتمها سراً يخاف اذاعته . وأن يتعلم من علم الحيض واحكامه ما يحترز به الاحتراز الواجب . وان يعلمها من العبادات والآداب مالا تستغنى عن معرفته . وان لايكلفها من خدمته فوق طاقتها . ومن عنده أكثر من زوجة واحدة فعليه العدل بالسوية ومجانبة الميل الى بعضهن واذا أراد سفراً اقرع بينهن . وليحذر الفقير من الجمع بين زوجات وهو لايستطيع الانفاق عليهن (١) إذ لايزال

والخضاب بعد وفاة زوجها فهى محد وكذا حدت تحد بضم الحاء وكسرها حداداً بالكسر فهى حاد ولم يعرف الا صمعي الا الرباعى أي أحدت اه مختار

(١) ماأحسن ماجاء في الاقناع وشرحه ـ من كتب الحنابلة ـ من قوله ويستحب ان لايزيد على واحدة ان حصل بها الاعفاف لما فيه التعريض المحرم ، قال تعالى : « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » اه جزء (٣) ص (٤)

معهن في نزاع على النفقـــات وسائر حقوق الزوجية . وقد لا يطلقهن ولا واحدة منهن ، ولا يزال الفساد يتغلغل فيهن وفي أولادهن ولا يمكن له ولا لهن أن يقيموا حدود الله . وضرر ذلك بالدين والامة غير خاف على أحد *

٧ - ﴿ أدب الفتـاة ﴾

يلزم وليها أن يعلمها الكتاب العزيز بحسن أداء ثم ما يصحح عقيدتها وعبادتها من أصول العقائد والفقه . ثم ما وجب عليها لوالديها وأولادها وبعلها ، وما أبيح لها وما حظر عليها ، وما تضطر اليـه من ادارة نفسها وبيتها وبنيها كالخياطة وترتيب المنزل ، وادارة صحة بنيها وآدابهم ، وصلاح المأكل والملبس ، وأصول الاقتصاد ومكارم الاخلاق وما أشبه ذلك مما يجعلها قرة عين الكمال . ولقد صدق القائل : ان الفتاة المتعلمة المهذبة فخر لاهلها · وعون لبعلها . وكمال لبنيها . أهلها بها يفتخرون . وأولادها بها يسعدون * ومن ذا الذى لا يسر فؤاده بابنته الاديبة التى تدبر الامور المعاشية بالمعرفة . وتدير الحركة المنزلية بالحكمة . ويجد في مجالستها أنيسا عاقلا . وسميراً كاملا *

وعلى وليها أن يزوجها من الاكفاء الاخيار ذوى الدين والمروءة الذين يتوسم فيهم اسعاد زوجاتهم : وما ألطف قول الخوارزمى : حق كافل الكريمة أن لا يزوجها حتى يستكرم صهراً . أو يحكم مهراً *

٨ - ﴿ أدب الأطفال ﴾

أجمع الباحثون في أحوال العمران . ونواميس المدنية . على أن التربية والتعليم هما الوسيلة الوحيدة . والواسطة العظمى في ارتقاء الامم على منصات الحضارة ، وبلوغها ماتطمح اليه من الآمال الكبار . لذلك كان من أهم واجبات الامة التى تجعل بلوغ مثل هذه الامنية نصب عينيها. أن تكل أمر تربية أبنائها وتعليمهم الى رجال الدين الذين يطبعون في فطرة الناشيء أصول الفضائل وآداب الشريعة . ويلقنونه دروس الحياة ويرقون عواطفه ويربون شعوره . فاذا فارقت الآباء هذا المبدأ فوسدت الامر الى غير أهله ، وأسندت وظائف التعليم الى غير أكفائه من أعداء دينها . فلاتلبث أن يلم بمزاج مجموعها مايضعفه وينمى جراثيم الداء فيه فتظهر أعراضه عليه فتصبح في حضيض خسران الدنيا والآخرة * فالتربية الدينية هى أس الفضائل وروح الاجتماع الحيوى

٩ - ﴿ الاهتمام بتربية الطفل المنزلية ﴾

اذا لحظ المرء ماينجم من التربية المنزلية يجد انه كما يكون الاهل يكون الطفل في الغالب . فان كانوا ذوي نظام وطباع كريمة شب الطفل كذلك لما علم من انه ميال للتقليد والمحاكاة . وان كانوا جهلاء أغبياء وذوى خمول أو ضعف فى العزيمة شب الطفل على ذلك . فمن هذا يعلم

ان تربية البيت اما أن تكون عضداً وساعداً المعلم فى المدارس، واما أن تكون عقبة كؤوداً في سير التربية المدرسية *

١٠ - ﴿ تدارك من يراد تربيته قبل تأثير الورثة فيه ﴾

تقرر في سنة البشر ان الفروع كما ترث من أصولها جانباً من الصفات الجسمانية كذلك ترث منها كثيراً من الطبائع الخلقيـة . فلقد تجد أولاد الرجل الابله كأبيهم . وأبناء العاقل الداهية كذلك . ولا حاجة الى ايراد البراهين على ذلك . لانه يكفى في اثباته أدنى التفات الى دراسة أصول العالم الذى نحن بين ظهرانيه . نعم قد لا يطرد ذلك كلياً، — لان لكل قاعدة شذوذاً الا أن القصـد التنبيه على أنه وان كان فى الحدث طباع موروثة إلا أن المربى الحكيم يمكنه أن يهذب منها ما فسد . ويقوم ما اعوج وان احتاج الى عناء زائد وجهـد كبير على شريطة أن يتدارك ذلك قبل أن تتمكن تلك الوراثة الفاسدة وتصير ملكة . ولذا قلما تفيد التربيه في الكبير *

١١ - ﴿ العناية بتأديب الصغير ﴾

قالت الحكماء : ينبغي أن يؤخذ الولد بالادب من صغره . فان الصغير أسلس قياداً وأسرع مؤاتاة . ولم تغلب عليـه عادة تمنعه من اتباع ما يراد منه . ولا له عزيمة تصرفه عما يؤمر به . فهو اذا اعتاد الشىء ونشأ عليه خيراً كان أو شراً — لم يكد ينتقل عنـه فان عود من صباه

المذاهب الجميلة والافعال المحمودة بقى عليها ويزيد فيهـا اذا فهمها وان أهمل حتى يعتاد بما تميل اليه طبيعته مما أغل عليها أو عود أشياء رديئة مما ليس في طبيعته ، ثم أخذ بالادب بعد غلبة تلك الامور عليه عسر انتقاله مع الذى يؤذيه . ولم يكد يفارق ما جرى عليه . فان اكثر الناس انما يؤتون في سوء مذاهبهم من عادات الصبا *

١٢ – ﴿ آداب عامة للصغير ﴾

قال الحكيم المستعصمي : (١) يجتنب النوم الكثير فانه يقبحه ويغلظ ذهنه ويميت خاطره . (٢) يمنع من الفراش الوطىء وجميع أنواع الترفه حتى يصلب بدنه بتعود الخشونة . (٣) يمنع من اعتياد الامكنة الباردة صيفا ومن النيران شتاء . (٤) لا يسرع المشي . (٥) لايتثاءب بحضرة غيره . (٦) لا يضع رجلا على رجل . (٧) لا يضرب تحت ذقنه بساعده ولا يعتمد رأسه بيده فانه دليل الكسل . وانه قد بلغ به التقبيح الى أن لايحمل رأسه حتى يستعين بيده . (٨) يعود ان لايكذب ولا يحلف لا صادقا ولا كاذبا . (٩) يعود الصمت وقلة الكلام وأن لا يتكلم إلا جوابا : واذا حضر من هو أكبر منه اشتغل بالاستماع منه والصمت له . (١٠) يمنع من خبيث الكلام وهجينه ومن السب واللعن ولغو الكلام . (١١) يعود حسن الكلام وظريفه وجميل اللقاء وكريمه. (١٢) يعود خدمة نفسه ومعلمه ومن هو اكبر منـه . (١٣) يعود طاعة والديه ومعلميه ومؤدبيه وأن ينظر اليهم بعين الجـلالة والتعظيم ويهابهم

(١٤) يعود ضبط النفس عما تدعو اليه من اللذات القبيحة والفكر فيها

١٣ - ﴿ غرس الحب ورفع الأحقاد والاعتماد على النفس وتعلم اللغات ﴾

قال حكيم: إني لاكثر التعجب ممن يعلم أولاده ذكر الحروب والضغائن ومن انتقم ووثب على صاحبه ولا يخطر ببالهم أمر المودة وأحاديث الالفة وما يحصل من الخيرات العامة لجميع الناس بالمحبة والانس وانه لا يستطيع أحد من الناس ان يعيش بغير المودة وان مالت اليه الدنيا بجميع رغائبها *

وقال بعضهم: خليق بالآباء وان كانوا فى غنى أو جاه أن يربوا أولادهم على مبدأ الاعتماد على النفس والاستقلال بأن يستعد في حياة والديه للعمل لان الحياة لا تقوم الا بالحركة والسعي والعمل والتدبير وحسن السلوك لاصابة العلم والرزق والراحة والجاه. والسعي لحفظ ثروة يحتاط بها من الفقر من أهم ما يصل بها الى مطالب الحياة بهناء فان المستقبل صفوة الحياة. ومتى نما فيهم هذا المبدأ المذكور رفضوا المعيشة الاتكالية على الآباء التي هي اليفة الخمول والصغار. وأصبحوا يجدون في المساعي التي توسدهم على فراش الهناء وما اللذة الا بعد التعب *

وعلى الآباء أيضا أن يعلموهم من اللغات ما استطاعوا اليه سبيلا فانه يقال: (كل لسان انسان) و (من عرف لغتين فهو بمنزلة شخصين) ولاسيما فى هذا العصر الذي اتسع فيه مجال المعاملة والعمل. وكثر اختلاط الناس من أمم مختلفة *

الباب الرابع : الآداب الاجتماعية

١ - ﴿ أدب الصحبة ﴾

قال حكيم : متى انتظمت بينك وبين أحد صحبة فعليك حقوق وآداب يوجبها عقد الصحبة وهي الايثار بالمال . فان لم يكن فبذل الفضل من المال عند الحاجة * والاعانة بالنفس في الحاجات على سبيل المبادرة من غير احواج الى التماس *وكتمان السر * وستر العيوب * والسكوت عن تبليغ مايسوء من مذمة الناس اياه * وابلاغ مايسره من ثناء الناس عليه * وحسن الاصغاء عند الحديث * وترك المماراة فيه * وان يدعوه باحب اسمائه اليه * وأن يثني عليه بما يعرفه من محاسنه وأن يشكره على صنيعه في وجهه * وأن يذب عنه في غيبته اذا تعرض لعرضه كما يذب عن نفسه * وأن ينصحه باللطف والتعريض اذا احتاج اليه وان يعفو عن زلته وهفوته فلا يعتب عليه * وأن يدعو له في خلوته في حياته وبعد مماته * وأن يحسن الوفاء مع أهله واقاربه بعد موته * وان يؤثر التخفيف عنه فلا يكلفه شيئا من حاجته ويروح قلبه من مهماته وأن يظهر الفرح بما يباح له من مساره * والحزن بما يناله من مكارهه* وان يضمر مثل مايظهره فيكون صادقا في وده سرا وعلانية * وأن يبدأه بالتحية عند اقباله * وأن يوسع له في المجلس ويخرج له من مكانه *

وأن يشيعه عند قيامه * وأن يصمت عند كلامه * حتى يفرغ من خطابه وأن يترك المداخلة فى كلامه * وأن يسكت عن القدح فى أحبابه وأهله وولده وعن قدح غيره فيه * وأن لايخفي عليه مايسمع من الثناء فى حقه * فان اخفاء ذلك من الحسد . وأن لايسأله اذا رآه في طريق عن مصدره ومورده * فربما ثقل عليه ذكره أو يحتاج الى الكذب وأن يتجاهل عما يكرهه منه ويتغافل عن مناقشته *

أوصى أحد الحكماء ابنه فقال : يابنى اذا عرضت لك الى صحبة الرجال حاجة فاصحب من اذا خدمته صانك * وان صحبته زانك * وإن قعدت بك مؤونة مانك * اصحب من اذا مددت يدك بخير مدها * وان راى منك حسنة عدها * وان رأى سيئة سدها * اصحب من اذا سألته أعطاك * وان سكت ابتداك * وان نزلت بك نازلة واساك * اصحب من اذا قلت صدق قولك وان حاولت أمراً آمرك * وإن تنازعتما آثرك *

٢ – ﴿ أدب الأصدقاء ﴾

ترفض صداقة من اشتهر بالبخل ومن اشتهر بالنميمة والثلب والسفه ومن عرف بالكبرياء والخفة والطيش وعدم حفظ السر أو اشتهر بحب الهذر والهذيان والتهتك والخلاعة والكسل ولايقبل فى التآخي من

أصيب بخالل في عقله ، أو شذوذ في أفكاره ، حتى لاتسقط درجة آداب الاخوان وعلومهم . ولايكون بين أفرادهم واحد لاخير للانسانيـــة والعمران منه . قال حكيم : احذر مؤاخاة من يجهلك أكبر همه ويؤثر أن لايخفى عليه شيء من أمرك فانه يتبعك ويأسرك .

قال الامام الغزالى : اذا طلبت رفيقـاً ليكون شريكك في التعلم وصاحبك في أمردينك ودنياك ، فراع فيه الشروط التي يصلح بها للاخوة والصداقة وهي خمس :

(الاولى) العقل فلاخير فى صحبة الاحمق فالى الوحشة والقطيعة يرجع آخرها ، وأحسن أحواله أن يضرك — وهو يريد أن ينفعك * والعدو العاقل خير من الصديق الاحمق الجاهل *

(الثانية) حسن الخلق . فلاتصحب من ساء خلقه — وهو من لا يملك نفسه عند الغضب والشهوة *

(الثالثة) الصلاح . فلاتصحب فاسقاً فان من لايخاف الله لاتؤمن غوائله ، بل يتغير بتغير الاعراض والاحوال * ومشاهدة الفسق والمعصية على الدوام تزيل عن القلب كراهية المعصية وتهون عليه أمرها *

(الرابعة) لاتصحب حريصاً . فصحبة الحريص على الدنيا سم قاتل لان الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء . بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لايدرى *

(الخامسة) الصدق . فلا تصحب كذاباً فانك منه على غرور .

فانه مثل السراب يقرب منك البعيد . ويبعد منك القريب اه

وقال بعضهم : المختارون من الاصدقاء أهل العلم والدين والحكمة والعقل ليفيدوه ويقووا قوة تمييزه وعلمه . وأهل شرف يستعان بجاههم في الملمات . وأهل ثروة يستعان بهم في لم الشعث . وأهل محادثة طيبة في خلواته يفزع لهم عند كربه والضجر من أعماله *

وأما أصدقاء الظاهر فينبغي مجاملتهم والاحسان اليهم . وكتمان الاسرار عنهم واخفاء الاحوال الخاصة عنهم وترك تحديثهم بنعمه *

وقال آخر : معاشرة الاصدقاء لاتتم إلا بالمؤانسة والمداخلة ولابد في ذلك من المزاح المستعذب والاحاديث المستطابة والفكاهة المحبوبة التى تطلقها الشريعة ويقدرها العقل حتى لايتجاوزها الى الاسراف فيها ولا يقصر عنها تهاونا بها فانها اذا خرجت الى جانب الزيادة سميت مجونا وفسقا وخلاعة وما أشبهها من أسماء الذم والى جانب النقصان سميت مذما وعبوسا وشكاسة وما أشبهها من أسماء الذم أيضا . والمتوسط بينهما هو الظريف الذى يوصف بالهشاشة والطلاقة وحسن العشرة ويعرض من الصعوبة في وجود هذا الوسط مايعرض في سائر الفضائل الخلقية *

وقال حكيم : متى حصل لك صديق يلزمك أن تكثر مراعاته . وتبالغ فى تفقده ولاتستهينن باليسير من حقه عند مهم يعرض له . أو حادث يحدث به . فأما مافي أوقات الرخاء فينبغي أن تلقاه بالوجه الطلق

والخلق الرحب وأن تظهر له في عينك وحركاتك وهشاشتك وارتياحك عند مشاهدته إياك مايزداد به كل يوم وفي كل حالة ثقة بمودتك وسكونا الى غيبك . ويرى السرور فى جميع أعضائك التي يظهرالسرور فيها اذا لقيك وان أصابته نكبة أو لحقته مصيبة أو عثر به الدهر كيف تكون مؤاساتك له بنفسك ومالك . وكيف يظهر له تفقدك ومراعاتك ولا تنتظرن به أن يسألك تصريحا أو تعريضا بل اطلع على قلبه واسبق الى مافي نفسه . وشاركه فى مضض مالحقه ليخف عنه وان بلغت مرتبة من السلطان والغنى فاغمس اخوانك فيها من غير امتنان ولا تطاول : فان رأيت من يحتشمك آنئذ فاجذبه اليك واختلط به وابرأ بذلك من الكبر والصلف ثم احذر المراء مع صديقك خاصة وان كان واجبا أن تحذره مع كل أحد فان مماراة الصديق تقتلع المودة من أصلها لانها سبب التباين . وقبح أثره لايخفى . فلايقف مع المراء محبة ولايرجى به ألفة . نعم ينبغى أن يكون كل مرآة لاخيه ينصح بعضهم بعضا ويرشد كل أخاه الى سبل الكمال ولايكتم نقد مايراه نقصا . فمن تبادل النقد فى ساحة المودة على بساط الصفاء يكون الكمال . وينبغى أن لاتؤاخذ صديقك المخلص بالتقصير ولاتجازيه عليه . ولاتعاتبه عتابا مفرطا وأدم ملاطفته وتعهد أشياءه واهد ماتستحسنه اليه واجتهد في الاكثار من الاصدقاء فان الصديق زين المرء وعضده وناصره ومذيع فضائله

٣ - ﴿ أدب الجـــار ﴾

للجوار حق وراء ماتقتضيه الاخوة . وجملة حق الجار أن يبـدأه بالحسنى . ويعينه اذا استعانه * ويقرضه اذا اسـتقرضه * ويعوده في المرض * ويعزيه فى المصيبة * ويقوم معـه فى العزاء * ويهنئه فى الفرح ويظهر الشركة معه فى سروره * ويصفح عن زلاته ولا يطلع من السطح على عوراته * ولا يضايقه فى وضع الجذع على جداره * ولافى مصب الماء فى ميزابه ولافى مطرح التراب في فنائه * ولا يضيق طريقه الى الدار * ولا يتبعه النظر فيما يحمله الى داره * ولا يستطيل عنه فى البناء فيحجب عنه الهواء الا باذنه * ويهديه من فضل مايجد * ويستر ماينكشف له من عوراته * وينعشه من صرعته اذا نابتـه نائبة * ولا يغفل عن ملاحظة داره فى غيبته * ولا يسمع عليه كلاما ويغض بصره عن حرمته * ويتلطف لولده فى كلمته * ويرشده الى مايهمـه من أمر دينه ودنياه — هذا الى جملة الحقوق المتقدمة *

٤ - ﴿ حكايات ونوادر فى الحب الصادق ﴾

قص بعضهم ثلاث قصص نادرة فى الحب الصادق . قال فى (القصة الاولى) تحت عنوان « الشرف الاعظم » :

﴿ ان اخاك الحق من كان معك * ومن يضر نفسه لينفعك ﴾
﴿ ومن اذا ريب الزمان صدعك * شتت فيـه شمله ليجمعك ﴾

(قال) : هذه حادثة يجب أن تكتب بماء الذهب فى سائر تواريخ العالم المتمدن لتظهر بعض واجبات الاخ الى اخيـه اذا ألمت به ملمة . فى الثامن عشر من شهر يناير سنة ١٨٩١ خرجت مفاخرة اخوان من القوة الى الفعل * وتجلت محبتهم برداء الشجاعة والاقدام فى مدينـة « شيكاغو » فتقدم منهم عدد كبير ليكونوا غرضا لمدية الجراح ليقطع جزءاً من لحم ذراعهم فيلصقه على فخذ أحد اخوانهم وقاية لحيـاته * وضمانا لراحته * وذلك ان أحدهم أصيب بسرطان فى فخذه الايمن وامتد مقدار قدم . وكان الجراح يعتنى بالمصاب . فرأى ان خير الامور أن يجرد اللحم الفاسد من مكانه ويضع مكانه لحما آخر يسهل التحامه بالفخذ فذبح الجراح لهذه الغاية جديا كان فى دار المستشفى لتسلية المرضى وعالج المريض مدة عشرة أسابيع . ولكن لسوء الحظ لم يلتصق لحم الجدى بفخذ المصاب ، فاضطر الجراح أن ينزع لحم الجدي ويجرب لحم الانسان ولكن من أين له بانسان يجود من لحمه بقطعـة تلصق على فخذ انسان آخر ، ويحتمل عذاب القطع والسلخ والشقاء ؟ وهل في الكون من دافع يدفع قلب الانسان الى تضحيـة جسده مساعدة لغيره ؟ إلا أنه لم يعز وجودها بين أولئك الاصحاب المتآخين ، إذ كان فى مشربهم من الدافع القوي مايقضى على الصاحب أن يبذل كل مافى وسعه لينقـذ أخاه ، ويساعده فى السراء والضراء ، فلمـا علموا ماحل بأخيهم وما

يلزم لشفائه عقدوا جلسة وتداولوا في شأن مساعدته ، فاكتتب منهم ثلاثمائة وقدموا أجسادهم لمدية الجراح ليقطع منها مايشاء إكراماً لاخيهم المريض وطمعاً في شفائه ، فضرب الجراح ميعاداً لذلك اليوم الثامن عشر من الشهر المتقدم ، وصباح ذلك اليوم المعهود ابتدءوا يتقاطرون حتى اكتمل عددهم ، فلما رأى الاطباء كثرتهم ارتئوا أن ينتخبوا «١٧٥» منهم ويذهبوا بهم الى المستشفى حيث كان المصاب ، فقسموا الى ثلاث فرق . وتقدمت الفرقة الاولى الى المستشفى وفي مقدمتهم عدد من الاطباء حضروا لمساعدة الجراح في عمليته الجراحية ، وكان الجراح قد سبق الجميع الى المستشفى فخدر المصاب بالمخدرات ، وغسل الجرح بالمحلولات اللازمة ، وجهز الادوية والرباطات ، ثم افاق المصاب من غيبوبته ، ورأى بعينيه اخوانه الذين قدموا ليشاطروه الالم ، ويعاونوه على الشفاء من مرضه . فامر الجراح بان يبتدىء العملية والسلخ حالا حرصاً على الوقت ، فتقدمت الفرقة الاولى فشمروا عن سواعدهم . أما كيفية قطع اللحم وسلخه ، فكانت هكذا : ياتى الشخص كاشفاً ساعده الايسر فيفركه أحد الاطباء فركا شديداً ثم يغسل المحل المطلوب سلخه بالماء الحار والصابون ثم بالكحول حتى ينظف الجلد جيداً ثم يتقدم طبيب آخر فيقطع المقدار المعين من الجلد ويسلمه على رأس سكينه الى الجراح ، وهذا يضعه على فخذ المريض ، وللحال يتقدم طبيب آخر ويرش على الذراع المسلوخة مسحوقا معداً من المخدرات لتخفيف

الهيجان ، ثم يضع قطناً مبتلا بالمراهم والسوائل ويربط الذراع ربطاً متقناً ، ثم يتقدم الثاني وهكذا الى آخر العملية . وفي مدة ساعة ونصف انتهت الفرقة الاولى * وتقدمت الفرقة الثانية لجرى برجالها ما جرى بالفرقة الاولى . وكانوا كلهم يتقدمون بجراءة عظيمة غير مبالين بالجراح الا اثنين من هذه الفرقة فانهما غطيا وجهيهما بمنديل عند مس ذراعيهما. ثم حضرت الفرقة الثالثة ولم يقطع من لحم رجالها بقدر ماقطع من الفرقتين السابقتين لان الطبيب اكتفى بما قطع فبلغ عدد الذين سلخت سواعدهم مائة وستة وأربعين «١٤٦» ومعدل ماقطع من ذراع الواحد مقدار قيراط مربع . وقد استقل أصدقاء العليل واخوانه هذا القدر لانهم كانوا مستعدين أن يقدموا ماينيف عن قدم وزيادة . وكان بينهم من أتى من مسافة بعيدة ليقدم ذراعه ضحية لاخيه . ولم تستمر هذه العملية أكثر من ثلاث ساعات ونصف . أما العليل فكان ملقى على جانبه الايسر . وكان كلما دخل عليه واحد منهم يتبسم تبسما ينوب عن الكلام في اظهار شكره وامتنانه وكان اخوانه يشجعونه ويعزونه في مصابه برقيق الكلام . واشترك فى هذه العملية جميع اخوانه على اختلاف أعمارهم ودرجاتهم : فمنهم الشيخ الكبير . والرجل الحازم . والشاب النشيط الذي لم يخط عارضاه بعد . وكان منهم أعمى واحد . وغضب كثيرون من الذين رفض الاطباء قبولهم ولم يصلح صحياً . والذين خاب أملهم حينما أعلن الجراح انه ليس فى حاجة بعد الى اللحم . وهذه

لمحبة التي لا توصف كانت سبباً لشفاء العليل وما برح يشكرهم الى آخر نفس من حياته *

وقال في القصة الثانية تحت عنوان : « النخوة والشهامة والمروءة » مامثاله : هذه نبـذة تدل على شهامة اخوان لم يضنوا بالنفس والنفيس حباً بمساعدة اخوانهم ومحافظة على عهودهم التي تعاهدوها . فقد نشرت جريدة «الينوي اودفلو» في عـددها الخامس الصادر في ١٥ مايس سنة ١٨٩٥ ماملخصه : دعى أعضاء محافل وعائلاتهم الى احتفال في «شيكاغو» ثم تلى رئيس الاحتفال ملخص حادثة جرت فقال : في العاشر من شهر اكتوبر (ت٢) سنة ١٨٩٤ بينما كان صديق غائباً عن منزله في أشغاله وليس في البيت سوى امرأته وولدهما الصغير وكان نائما في سريره قامت والدته لتفتح درجا وبيـدها مصباح منار بزيت الـكروسين فالتهب بالقضاء والقـدر وسقط الزيت على الثياب فاشتعلت النيران بسرعة فذهبت الى الباب تستغيث بالجيران ففطنت الى ولدها فعادت و لفته بملاءة وحملته ولما وصلت الى الباب رأته مقفلا فلفت الولد جيداً وخرجت من أحدى نوافذ البيت وكانت النار قد علقت بها ولم تشعر لعظم حرارة منزلها وشغفها بخلاص ولدها وأتت مسرعة ولم تصل الى بيوت الجيران الا والنار قد شوهتها فالقت الولد امامهم سالماً وكانت ذراعاها وأحد جانبيها محترقة وكان لحمها يتساقط عند مسه فأطفأها الجيران ووقعت الى الارض من الالم ثم جيء بمركبة فنقلتها الى المستشفى وكانت ملفوفة بشال ولما نزع الشال

صار المنظر محزنا لان يديها من رؤوس الاصابع الى العنق والـكتفين والجوانب الى الخصر ومن نصف الثديين الى الوراء منتهي قيراطين من العمود الفقري فـكانت كلها كتلة لحم محترقة تقع عند لمسها وسماكة الحرق في بعض المواضع قيراطان وفي البعض الآخر لم يحترق سوى الجلد ثم وقعت الاظافر واكثر المواضع التى حرقت صدئت فيها المواد وشعرت بعد دخولها المستشفى بست ساعات، بحمي رافقها ألم شديد ونتج من ذلك تقرح فى المعدة والامعاء وأصيبت باسهال حاد وآلام تفوق الوصف ولا سيما لما كانوا يغيرون لها عن الحروق فانهم كانوا يمكثون ساعتين أو أكثر وكانت تعانى كل أنواع الآلام عند نزع الانسجة عن لحمها ثم ان الطبيب ومساعديه رأوا أن لابد من تعويض اللحم الساقط من جسمها بلحم حى وعمل عملية جراحية لعل الله يمن بالشفاء فقدم زوجها نفسه اقطع مايلزم من لحم جسده حبا بسلامة قرينته التي ضحت حياتها لاجل ولدها ولكن الاطباء رأوا انه يلزم أكثر مما يمكنهم أن ياخذوا منه فتبرع بعض الممرضات بالمستشفي بأخذ قطع من لحمهن حبا أيضا بتلك المصابة · ولما بلغ إخوان زوجها وأصدقاءه ماكان حركتهم النخوة والشهامة الى مشاركة اخيهم وقرينته وقبل ابتداء العملية جاءوا أفواجا أفواجا وهم ممتلؤا الجسم أصحاء البنية واندفعوا بكل قواهم مظهرين عواطف الحب والولاء وعرضوا أنفسهم على الاطباء ليقطعوا من أجسادهم ماشاؤوا ومن أى جهة

أرادوا لانقاذ حيـاة امرأة أخيهم . ولما حضروا أمام الجراح مد أولا زوجها ذراعيه وقال للطبيب خـذ منها ما تشاء فقطع منهـا ثماني قطع طول كل قطعة قيراطان وعرضها ثلاثة أرباع القيراط وكان يقول خـذ بعد ولم يبد أقل اشارة تدل على الالم بل كان مسروراً لانه استطاع أن يضحي حياته لسلامة امرأته فأخذ الطبيب اللازم ثم قطع من صديقـه ثماني قطع أيضاً ومن غيره خمساً وأتى بعدهم غيرهم يخبرون الاطباء بأخذ اللحم من أجسـادهم من أي جهة أرادوا فكان الاطباء يقطعون اللحم وآخرون يخيطون مكان الجروح ويغسلونها بمزيلات الفسـاد وهلم جراً وما زالوا حتى عوضـوا من كل اللحم المحروق فكان جمـلة ما أخـذوه نحو سبعمائة وخمسين قيراطا مربعا وهي تساوي نحو خمسة أقدام وكان جملة ما أخذ من كل رجل نحو قيراط أو أكثر والذين أخذوا من لحمهم ثمانين رجلا عدا امرأتين تبرعتا أيضا فكانت تعزيتها باظهار حنو اخوان زوجها وسرورهم وشجاعتهم وتشجيعهم إياها مما ساعـدها كثيراً على احتمال تلك العملية الغريبة النادرة المثال ولحمها مكشوف للهواء . ثم جمع منهم ستمائة ريال قدمت لزوجها لمشـتري أدوات للبيت بدلا من التي احترقت وتذكاراً لحب اخوانه له ولقرينته :

(هكذا هكذا والا فلا لا * ليس كل الرجال يدعى رجالا)

(وقال في القصة الثالثة) تحت عنوان « المشـاركة في الحيـاة » ماصورته: من أغرب ما رواه التاريخ ومن أعظم الحوادث تأثيراً الخبر

الآن فانه يدل على أن أخا ضحى حياته لمساعدة أخيه ويشهد لاطباء الاميركان بطول الباع والمهارة فى صناعة الطب . مرض أستاذ محفل في « أوهايو » بسم الدم وكان محترما محبوبا في تلك الولاية وكان كريم الخلق سمح اليد يساعد المحتاجين ولما أشرف على الخطر تواردت الارامل والايتام على منزله يسألون عن صحته ويقدمون ابتهالاتهم الى الله ليشفيه وينذرون نذوراً قدر طاقتهم اذا شفي وعقد عدد من نطس الاطباء جلسة وقرر أحدهم أن لا أمل بنجاة الاستاذ الا بأمر واحد — وهو أمل ضعيف جداً — والواسطة هى أنه لما كان دم المريض قد سم أكثره واستحال الى دم فاسد فلا بد من تفريغه من عروقه واملائها بدم نقي من جسم صحيح . ثم قال الطبيب : ان في العمل خطراً جسيما جداً ولكن الطريقة الوحيدة الممكن عملها . ولا شك أنه يصعب جداً — ان لم نقل يستحيل — وجود من يسمح بجزء عظيم من دمه لمثل هذه الغاية . وفى مساء اليوم عينه عقد المحفل جلسة خصوصية فنهض الرئيس فيها وأبان حالة أخيهم المريض والواسطة التى ارتآها الطبيب وطلب منهم أن يتضرعوا الى الله أن يمن عليه بالشفاء . وكان أحد أصحابهم واخوانهم حاضراً — وهو في مقتبل العمر — قوى البنية مورد الخدود صحيح الجسم في أشده فوقف في الوسط وقال : أيها الاخوان انى أجود بما يلزم من دمي عن طيبة خاطر لانقاذ هذا الاستاذ فأحدق به الحاضرون وأخذوا يثنون على شهامته وشجاعته .

ورأوا في قوة جسمه وريعان صباه ما يؤيد قوله ثم اجتمعت لجنة الاطباء لفحص هذا البطل فوجدوه صحيح الجسم نقى الدم وحكموا أنه أهل للقيام بذلك وعليه أخذ الاطباء فى اليوم التالى في اجرا العملية بحضور جميع اخوان المريض فبدأ الاطباء باخراج الدم من جسم المريض في دقة وانتباه حتى أخرجوا منه القدر اللازم ثم فتحوا عرقاً في ذراع ذلك البطل ووصلوا منــه أنبوبا الى جسم المريض ، فجعل الدم يتدفق من جسم الصحيح الى جسم المريض فيكسبه لونا جميلا وينعشه . وما زال البطل يجود بدمه لاحياء أخيه وهو محاط باخوانه الذين يمدحون شجاعته ويثنون عليه الى أن اعتراه دوار شديد ، فنظر اليهم نظرة الوداع وأشار اليهم بعينه يريد الكلام فلم يقو عليه ، ثم أغمض وغمى عليه وكان الاطباء ينتظرون ذلك فاوقفوا جريان الدم وانقسموا قسمين قسم اعتنى بالمريض وقسم بالبطل : أما الاستاذ المريض فتحسنت حالته حالا ، وأخذ يتقدم الى الصحة بسرعة الي أن شفى تماماً وعاد الى حالتــه الاولى أما البطل فتأخرت صحته كثيراً وأشرف على الموت وكان يقول لزائريه لست متألما ولا متكدراً ، بل أنا مسرور لقيامى بهذا العمل ، والشكر لله ان دمى أفاد أخي فأحياه : وبعــد ان بذل الاطباء كل همة في مداواته أخذ يتعافى وبدأت صحته بالتحسين وبعد ثلاثة أشهر من تاريخ تلك الحادثة المؤثرة قام من سريره وزار اخوانه ، ولما سئل عن السبب فى اقدامه على هذا العمل قال : لو مات الاستاذ لخسر المحفل أما اذا مت أنا فلا تكون

الخسارة مذكورة ثم انهالت عليه الاكرامات والهدايا الثمينـــة انتهى (أقول) : هذه القصص الثلاثه وان تكن غريبة في بابها جديرة بالاعتبار والتأسي بها فلقد دون التاريخ ما هو أعظم منها (فقد حكى الغزالى عليه الرحمة والرضوان) فى باب حقوق الاخوة والصحبة — من « الاحياء » ان أعلى مراتب المواساة أن تؤثر أخاك على نفسك وتقـدم حاجته على حاجتك قال : وهذه منتهى رتبة المتحابين ومنتهى هذه الرتبة الايثار بالنفس أيضاً كما روى انه سعى بجماعة من الصوفية الى بعض الخلفاء فأمر بضرب رقابهم : وفيهم ابو الحسين النوري فبادر الى السياف ليكون هو أول مقتول : فقيل له في ذلك فقال أحببت ان أؤثر إخوانى بالحيـاة في هذه اللحظة فـكان ذلك سبب نجاة جميعهم فى حكاية طويلة : (وحكى عليه الرحمة) — في باب الايثار — عن حذيفة قال : انطلقت يوم اليرموك من أيام فتوح الشام — اطلب ابن عم لى ومعى شيء من ماء لأسقيه ان كان به رمق وامسح وجهه : فلقيته فلما أهويت لاسقيه سمع قائلا يقول آه : فأشار ابن عمي أن انطلق بالماء اليه فجئته فسمع متأوهاً آخر فأشار اليّ ان انطلق اليه فجئته فاذا هو مات : فرجعت اليه فاذا هو مات أيضاً فعدت الى ابن عمي فاذا هو قد مات رحمة الله عليهم أجمعين *

وفي تاريخ «شذرات الذهب» — فى ترجمة الشيخ مبارك بن عبد الله الحبشى الدمشقي أحد الشيوخ الصوفية المتوفى سنة (٩٤٣) انه حج ومعه مريدوه فلما دخلوا مكة فرغت نفقتهم فقال لبعض اصحابه خـذ بيدي

الى السوق واقبض ثمنى واصرفه على بقية الجماعة ففعل ذلك واشتراه بعض تجار العجم ثم أعتقه اه

ثم رأيت قصة أخرى تشابه ماتقدم (١) وهي ان امرأة مرضت واشتد بها الضعف حتى يئس الاطباء من شفائها أو تسعف بدم جديد يقوم مقام مافقدته من الدم وكان زوجها على تمام الصحة والنشاط فأوعز الى الاطباء أن يخرجوا الدم من عروقه ويدخلوه في عروقها لتقوى وتشفى إذ لم يكن لشفائها سبيل آخر ففحصوا دمه ووجدوه سليما وفحصوا قلبه فوجدوه قويًا فأجلسوه الى جانب زوجته وأوصلوا بين عرق من عروقه وعرق من عروقها على غير رضاها فجعل دمه يجرى من جسمه الى جسمها وللحال زال الاصفرار من وجنتيها وقوى نبضها بعد أن كان ضعيفًا لا يشعر به وحاول الاطباء حينئذ أن يقطعوا الانصال بينها وبين زوجها فمنعهم من ذلك وقال بل دعوها تأخذ من دمي كل مايحتاج اليه جسمها ولما قطعوا الانصال كانت وجنتا المرأة قد توردتا وأما زوجها فكان قد اصفر وأغمى عليه ولم يسترد قوته ونشاطه الا بعد أيام (٢)

---

(١) نقلها المقتطف جزء ٤ مجلد (٣٩) صفحة (٣٩٦) تحت عنوان (الحب الصادق)

(٢) قال الراوى الحادثة صحيحة والرجل من أعضاء مجلس الاعيان الامريكي وهو شاب في مقتبل العمر وقد ترطبت الالسن بذكر شهامته والاطناب بمحبته وتضحيته نفسه لاجلها ولكن كل زوجة في الدنيا تعرض نفسها مراراً كثيرة في حياتها لاجل زوجها لكى تلد له الاولاد وكل زوج وكل زوجة يسفكان دمهما مراراً كثيرة لاجل أولادهما يسهران

٥ — ﴿ أدب المشـى ﴾

يلزم أن يكون المشي هوناً معتدلا لاسريعاً ولا بطيئاً وأن يجتنب الماشى الخفة في التلفت وأن يكون ناصباً للقامة لامنحنياً ولا محدودبا ولامشبكا يديه وراء ظهره لئلا تصلب أعصاب ظهره على التقوس والانحناء . وعليه أن يكون مؤثراً ليمنى الطريق أو يسراها ليبعد عن مصادمة العجلات ونحوها موجها النظر الى الامام لا الى النوافذ ولا محدقا براكبي العجلات وبالمارين مساعداً لضعيف أو عاجز أو مايحمل على دابة متباعداً عن مواقف التخاصم منتقيا الطرق النظيفة غير مزاحم ولاملتصق بالحيطان ولا بأحد محترسا في الزحام على الجيب من يد مختلس متأخراً عن جليل يماشيه سائرا عن يساره *

٦ — ﴿ أدب الزيارة والزائر ﴾

الزيارة هي الواسطة الوحيدة لدوام رابطة الاخوة والصحبة إلا أن كثرتها ربما كانت مجلبة للملل وقلتها مدعاة للايحاش وضعف المودة ويجب أن تكون في غير وقت النوم وتحسن في غير وقت الا كل * وأن يكون بملابس نظيفة وهيأة حسنة وأن يطرق الباب بلطف الى ثلاث

الليالى ويتجشمان المشاق ويحرمان أنفسهما كل راحة وكل مسرة لاجل أولادهما يشتغلان ويكتسبان ليطعماهم ويربياهم ويعلماهم ويتركالهم مايستعينون به على شؤونهم

مافعله ذلك الزوج هو مايفعله كل زوج وكل زوجة كل يوم لاباخراج رطل من الدم بل ببذل دم القلب وعرق الجبين وقوى العقل لاجل حفظ النسل فجزى الله الوالدين كل خير

وله بعدها الانصراف * ومن لم يجد المزور فليترك اسمه مع الخادم أو على بطاقة * ومن وجد الباب مفتوحا فلايدخل الا بعد أن يستأذن له الخادم أو يرسل معه بطاقته ولايفاجيء المزور مفاجأة فان ذلك يؤلم من فوجيء في بدء رؤيته ومن شعر أن لمزوره شغلا أوتهيأ لحاجة فليبادر بالانصراف ولو رغب اليه بالمكث، ومن وجده يناجي أحداً في حديث فليعتزلهما جانبا ويتشاغل انتظاراً لفراغهما واذا وجده في كتابة أو قراءة فلايتطلع اليها ويسأله عنها ولايدل عليه بتفتيش أوراقه وخزانته ولايتناجى مع غيره بحضرة المزور ولايطيل مدة المقابلة ولاينصرف إلا باستئذان واذا وعد أحداً بزيارته فلايخالف وعده معه . وليكن حضوره في الوقت المعين . وان طرأ عذر فيجب اخباره قبل الميعاد *

ومن اللطائف ما كتبه حكيم على باب داره « ينبغي للزائر أن يشترك مع أهل البيت في أعمالهم »

٧ — ﴿ أدب المزور ﴾

يلزم المزور أن يستقبل زائره ببشاشة وطلاقة وجه وأن يصافحه ويرحب به ويظهر السرور بزيارته ويشكره على تفضله وأن لايتقدم على زائره في مجلس وفي تناول مشروب وأن لايحدثه بالاراجيف ولا بما يسوؤه * واذا بغتته نائبة أومصيبة فليكتمها عن زائره وليتجلد في إكمال الجلسة وأن يلتفت لزائريه بالتساوى فلايؤثر بحديثه أحداً منهم وأن يسامره بشربه ومايهواه وأن يستسمحه في إنهاء شغل إن كان لديه

ليتفرغ لمخاطبته وأن يمشي معه الى الباب وأن يرد له بعد أيام زيارته

٨ - ﴿ أدب الضيف ﴾

يلزمه الحضور فى الوقت المعين له والجلوس مع من يليق به ، وموافقة المضيف والمشى مع رغبته وأن لا يمنعه من شيء أراد احضاره ولا يتطلع الى ناحية الحريم وجهة الباب رغبة فى مجيء الطعام . ومما يعاب على الضيف أخذ ولده الصغير وكثرة الاكل بالشره وجرف الطعام من نواحى الوعاء وابتلاعه بصوت يسمع ونفض الاصابع واعادة بعض مايطعمه الى الوعاء والبهت في وجوه الآكلين وجذب اللحم بعنف وغمس يده فيه والتطفل بتوزيعه على الآكلين ونقل الطعام من وعاء الى غيره يخلطه معه الا اصحفة لديه ومزاحمة الجالسين والتأمر على من يصف الصحون بالتقديم والتأخير وعلى المضيف بمضايقته في فكره والتكاسل بالنهوض الى الطعام والتشاغل عمن ينهضه اليه والتشبع لدى الحضور تصنعا والتأفف مما رغب فيه غيره واطالة الحديث والماء يصب على يديه وسؤال صاحب الدار عن داره وعمارتها ولومه على مايراه قصر فى هندستها واخبار من لم يدع من صديق المضيف بالدعوة واستعجاله باحضار الطعام وشكوى الجوع وأن يطلب ممن يدعوه أن يدعو صديقه وأن يدعو من يحب بغير اذن داعيه أو يتطفل بغير دعوة وهو أقبح الخلال لما فيه من تعريض النفس للاهانة والخزي والعار وأن يحدث بما كان من كلام ففيه خيانة من حضر والغفلة عن كون المجالس بالامانة *

٩ - ﴿ أدب المضيف ﴾

أن يستقبل ضيفه بطلاقة وجه وسن ضحوك وترحيب بالغ واقى مبهج ويحدثهم بلذيذ المحادثة وغرائب النوادر وأن لايخبرهم بما يفزعهم وأن يكتمماينوبه مدة حضورهم وأن ينتظرهم قبل الميعاد ولا يملهم بالغيبة عنهم ولا يضجرهم بتأخير الطعام وأن يخدمهم ويقوم عليهم ويظهر لهم سعة الحال ويطيل الحديث عند مؤاكلتهم ويظهر رغبته فى الطعام أمامهم تجسيراً لهم وأن لايمسك عن تأكيد الدعوة بادنى اعتذار فيكون كالمنتظر لذلك أو المنافق فى دعواه ولا ينام قبلهم ولا يشكو الزمان وضيق الحال بحضورهم ويسمر معهم ولا يغضب على خادم أمامهم ولا يعبس بوجهه ولا يفخم طعامه ولا يمدح طابخه ولا ينوه بندرة وجوده أو غلاء سعره أو الانفراد بعمله فان ذلك دناءة وأمارة الشح وأن لاينتهر أحداً ولا يشتمه لديهم وأن ينزعج عند استئذانهم ويتروع لفراقهم ويسير معهم الى الباب ومما يتعين عليه تجنب الاسراف فلا يسيء التصرف ويقتل نفسه حبا في المفاخرة *

١٠ - ﴿ أدب المهدى ﴾

رؤية الفضل للمهدى اليه واظهار السرور بالقبول منه لها والشكر عند رؤية المهدي اليه والاستقلال لها وان كثرت *

١١ - ﴿ أدب المهدى إليه ﴾

اظهار السرور بها وان قلت والدعاء لصاحبها اذا غاب والبشاشة اذا حضر والمكافأة اذا قدر والثناء عليه اذا أمكن وترك الخضوع له والتحفظ من ذهاب الدين معه ونفي الطمع معه ثانيا *

١٢ - ﴿ أدب اصطناع المعروف ﴾

البداءة به قبل السؤال والمبادرة به عند الوعد والتوقير له عند العطاء والستر له بعد الاخذ وترك المنة بعد القبول والمداومة على اصطناعه والحذر من انقطاعه *

١٣ - ﴿ أدب المعاشرة ﴾

معاشر الناس ومجالسهم يلزمه البشر والبشاشة وكتمان السر وحسن الخلق وملازمة الصدق فى المقال واسعاف الصديق في الحاجة واجتناب اللجاجة ومواصلة النصح والافادة والسخاء بالزيارة والعيادة وخلوص الوداد فى حالتي السراء والضراء ومشاطرة الخليل في الافراح والاحزان وتقليل العبث والمزاح وصون اللسان والمعاملة باللطف والانس واعتبار الصديق كالنفس والاغضاء عن الزلل وهجر النفور والملل وكظم الغيظ والغضب وممارسة العفة والادب .

ويتعين على الجليس أن يراعى ألفاظه ويكون على حذر من عثرة لسانه ولا سيما اذا كان جليسه ذاهية وأن لاينظر فى عطفيه ولا

يكثر الالتفات ويتحفظ من تشبيك أصابعه وتخليل أسنانه وكثرة البصاق والتمطى والتجشى وتقريب الفم من وجه المخاطب ومن العبث بشاربه ولحيته ومن التمخط الا بمنديل ومن الازعاج بالعطاس فلا يكون له ضجة وينبغي أن يصغى الى كلام مجالسه ولا يقاطع عليه كلامه ويستوعب منه القول فقد يستفيد من مجالسة الحكيم ما لا يستفيده من كتاب ويكون مجلسه هادئا وحديثه منتظما مرتبا مقرونا بالتروى والتحرز وعليه أن لا يتصنع تصنع المرأة في الزينة ولا يلح في طلب الحاجة ولا يكثر من الهزل ولا يذكر أحداً بسوء ولا يبث الاراجيف ٭

١٤ – ﴿ أدب التكلم ﴾

الكلام معيار فضل المرء وأدبه لان فضله لا يظهر إلا بمنطقه فينبغي اعتياد النطق بالحكمة بكثرة سماعها واجتناب التكلف والتعقيد وينبغي التكلم بصوت متوسط وعلى قدر اللزوم فان من رفع صوته زيادة عن العادة وقدر الحاجة نفر السامع من سماع كلامه وأوجب كراهة الناس له فلا يحبون محادثته ومؤانسته على أن كثرة الصياح والصراخ توجب ضعف أعضاء التنفس ويحصل للانسان بها بحة الصوت وصداع الرأس وضعف العينين كما أن زيادة خفض الصوت توجب صعوبة سماعه وتكلف المستمع زيادة الاصغاء وربما تخفى بعض ألفاظه فلا تسمع أو تشتبه على السامع بغيرها فيفهم منها خلاف غرض قائله . فمن تمام الادب والصحة أن يكون صوت الانسان في خطابه متوسطا معتدلا بقدر اللزوم لا عاليا

يتعب المتكلم ويزعج السامع ولا منخفضاً جداً يضعف عن الوصول الى السامع . وينبغي أن لا يكون كلامه بسرعة شديدة فيعسر على المخاطب تمييزه وضبطه وحسن فهمه ولا يكون بتأن زائد وبطء على السامع ويطول به الوقت بل يكون وسطا ولا يكون كلامه بشدة وحدة مثل المغتاظ والغضبان ولا برخاوة وتكسر كَكلام النسوان ولا بتشدق ينقذف معه لعاب أو بصاق بل يكون كلامه كلام الرجال الشجعان مع بشاشة الوجه وحلاوة اللسان فكم من أمورة صعبة متعسرة يسهلها عذوبة اللفظ وحسن البيان ولا يهش الى كافة الناس هشاشة تجسرهم عليه فيضيق بهم ذرعا ولا يصبر على ما يحبون منه ولا ينقبض عنهم انقباضا يوحشه منهم ويمنعه من رفدهم ولكن ايلاق الاعيان بالترحيب والمفاوضة ومن قصر عنهم بحسن اللقاء والصمت وسفلهم بالرأفة وحسن المعونة . وعليه اذا كلمه أحد أن يقبل عليه ويحسن الاصغاء اليه ولا يتشاغل عن كلامه ولا يقطع عليه القول حتى اذا خطر بباله شيء يجب أن يذكره — يصبر حتى يفرغ صاحبه ثم يتكلم * وعليه أن لا يذكر أحداً من رفقائه إلا باسمه مقرونا بتفخيم أو بلقبه الذى يعجبه ويحبه ولا يسمى أحداً باسم يكرهه ولا يناديه ولا يخاطبه به وعليه ان يكف لسانه عن لفظ قبيح معيب كأعضاء العورة فيكني عنها لدى الضرورة وعليه أن يتخذ الصدق فى أقواله عادة لازمة وطبيعة دائمة فان فيه السلامة والنجاح . والكذاب فاقد الثقة بين أهله ولا صديق

له ولا يقبل قوله حتى فى الصدق وضرره يعود على نفسه وغيره وعليه اذا اضطر لمعارضة أحد أن يقول : لعل الشأن كذا . وعليه اذا رغب لاحد في أمر أن يسأله مايتحمله طبعه ومانتشرح اليه نفسه . ويجب الاحتراز عن الالفاظ الحشوية التى تتخلل كلام بعض الالكن والرعن كما يجب ترك التضمين [1] فانه أقبح داء وأسوأ آفة للوقار والبهاء . وفيه تجرئة السفلة على الوقاحة وهي من أخلاق الادنياء ، سرى داؤها الى غيرهم من الترخيص لهم في الجلوس معهم والانبساط اليهم ، لاضحاكهم ورضاهم بمعاشرتهم ومانضمينهم القبيح إلا نفثات سموم تسرب في جسم الحكمة والادب فتفسده . وعلى المتكلم أن يتجنب الحلف في كلامه وان كان صادقاً توقيراً للفظ الكريم ، وتباعداً عن ايهام الدخل في كلامه لترويج مأربه . وعليه أن لا يباحث في المسائل المذهبية التى تولد الضغائن والتعصب فانها من أعظم آفات العمران وأشد عامل على التفرقة والانقسام . وعليه أن لا يكون مكثاراً من القول مستغرقاً الجلسة في طول حديثه ملجماً الغير عن المشاركة فان ذلك مضجر للجلساء ، ومن دلائل الطيش والخفة ، فمن بسط لسانه قبض اخوانه ، ودواؤه الاعراض لان حسن الاستماع قوة للمحدث

١٥ — ﴿ أدب جليس الأمراء ﴾

يلزم جليسهم أن يكون متأدباً حسن الاخلاق ، نقي الثوب طيب الرائحة ، ذا معرفة بالبلاغة والفصاحة ، حافظاً لصواب الشعر

---

(١) نوع من الكلام يستعمله أرباب المجون والخلاعة والمساخر اه

وملحه ومجونه ونوادره يورد الحكايات والفكاهات وضروب الامثال في أوقاتها ، كتوماً للاسرار بعيداً من النميمة ، حسن المحضر للناس ، يأتي في خطابهم بضمير الغائب ، ولا يستعمل ضمير الجمع في الاخبار عن نفسه ولا يكون جهير الكلام ولا مهموسه ، مخففاً مدة الزيارة لهم ، فان في اطالتها ضيق صدر المزور وملال الزائر وضياع الوقت عليهما . قال حكيم إذا حضرت مجالس الامراء فاغضض عينيك ، ولا تقل في غيبهم مالا تقوله في مشهدهم ، فان حرمة مجالستهم في غيبهم كحرمتها في مشهدهم . ولا تأمن أن يكون لهم عين ترفع اليهم أخبارك ، وتورد عليهم أسرارك . واذا حدثك صاحب المجلس فاسمع اليه وأقبل بوجهك وجملتك عليه ، ولا تعرض عن كلامه وقوله . واذا أورد عليك خبراً ، أو أنشدك شعراً أو طارحك أمراً وأنت به عليم ولك به خبر قديم فأظهر له انك لم تسمعه الا منه ، ولم تأخذه الا عنه كما قيل :

(وتراه يصغي للحديث بسمعه * وبقلبه ولعله أدرى به)

واجعل لدينك من دنياك نصيباً وكن على نفسك رقيباً وصير لكل جارحة من جوارحك زماما ومن النهى والعقل زماما . واذا صاحبت أميراً فتوخ جميل الاحترام وتوق سبيل الاقتحام ولا تبدأ بالمقال ولا تبسط بالسؤال واذا تكلم فأقبل عليه بوجهك واصغ اليه بسمعك ووكل بشفتيه ناظرك واشغل بحديثه قلبك وخاطرك واستمعه استماع مستحسن هاش له مستبشر به متعجب منه وان كنت تحيط به علما

وتحققه فهما ولا يدعوك فضل أنسه اليك ومداعبته إياك على ابتدائه بالمزح والهزل ومفاتحته بما يستهجن من القول فازالة الحشمة توجب الغضب والانكار . وأما أستاذ الامير ومعلمه فيلزمه أن يخرج تعليمه مخرج المذاكرة والمحاضرة لامخرج التعليم والافادة لان لتأخير التعليم خجلة يجل الامير عنها فان ظهر منه خطأ أو زال في قول أو عمل عرّض له باستدراك زاله أو اصلاح خاله ولم يجاهره واذا أعطاه فضل اقبال عليه فلا يحمله ذلك على الادلال عليه والاكثار اليه فصار ذلك ذريعة الى ملله ومفضيا الى بعده فان الامير متقسم الاخطار مستوعب الزمان ليس له فراغ المنقطعين الى العلم ولاصبر المنفردين به . وليحذر موافقة هواه فيما يجانب الدين ويضاد الحق فان فى ذلك غضب الحق ومقت الخلق وما أحسن قول الرشيد للاصمعي : يا عبد الملك : أنت أعلم منا ونحن أعقل منك لا تعلمنا في ملا ولا تسرع الى تذكيرنا في خلا واتركنا حتى نبدأك بالسؤال فاذا بلغت من الجواب حق الاستحقاق فلا تزد الا أن يستدعى ذلك منك وانظر الى ما هو الطف في التأديب وأنصف في التعليم »

١٦ - ﴿ أدب جليس العامة ﴾

على الجالس فى محفل أن يجلس مستقيما غير مضطجع ضاماً ثوبه وان لا يكثر الاشارة بيده ولا يتثاءب أو يتمطى ولا ينزع عمامته ويحك جلدة رأسه ولا يجلس فوق من هو اكبر منه مقاما وأن يجلس فى موضع لا يقام منه . هذا من جهة أدبه في نفسه معهم * وأما من جهة حديثه فقال

حكيم : اذا بليت بالعوام فأدب المجالسة معهم ترك الخوض في حديثهم وقلة الاصغاء الى اراجيفهم والتغافل عما يجرى من سوء الفاظهم والاحتراز عن كثرة لقائهم والحاجة اليهم والتنبيه على منكراتهم باللطف والنصح عند رجاء القبول منهم .

وفي كتاب (النصائح الدينية) ينبغي للعالم أن يكون حديثه مع العامة في حال مخالطته ومجالسته لهم — في بيان الواجبات والمحرمات ونوافل الطاعات وذكر الثواب والعقاب على الاحسان والاساءة ويكون كلامه معهم بعبارة قريبة واضحة يعرفونها ويفهمونها ويزيد بيانا للامور التي يعلم انهم ملابسون لها ولا يسكت حتى يسئل عن شيء من العلم — وهو يعلم انهم محتاجون اليه ومضطرون له فان علمه بذلك سؤال منهم بلسان الحال والعامة قد غلب عليهم التساهل بأمر الدين علماً وعملا فلا ينبغي للعلماء أن يساعدوهم على ذلك بالسكوت عن تعليمهم وارشادهم فيعم الهلاك ويعظم البلاء وقلما تختبر عامياً — واكثر الناس عامة — الا وجدته جاهلا بالواجبات والمحرمات وبأمور الدين التي لا يجوز ولا يسوغ الجهل بشيء منها وان لم يوجد جاهلا بالكل وجد جاهلا بالبعض وان علم شيئاً من ذلك وجدت علمه به علماً مسموعاً من ألسنة الناس لو أردت أن تقلبه له جهلا فعلت ذلك بأيسر مؤونة لعدم الاصل والصحة فيما يعلمه . وينبغي للعلماء — وخصوصاً منهم ولاة الاحكام — أن يعظوا عامة المسلمين عند الاختصام اليهم ويخوفوهم بما ورد عن الله وعن

رسوله من التشديدات والتهديدات في الدعاوي الكاذبة وشهادة الزور والايمان الفاجرة والمعاملات الفاسدة مثل الربا وغيره ويذكرون لهم بعض ما ورد في الشرع من تحريم هذه الامور وشدة العقاب فيها وذلك لغلبة الجهل وشدة الحرص وقلة المبالاة بأمر الدين . وعلى الجملة فيتأكد على العلماء أن يجالسوا الناس بالعلم ويحدثوهم به ويبثوه لهم ويكون كلام العالم معهم فى بيان الامر الذي جاؤا اليه من أجله مثل ما اذا جاؤا لعقد نكاح يكون كلامه معهم فيما يتعلق بحقوق النساء من الصداق والنفقة والمعاشرة بالمعروف وما يجرى هذا المجرى ومثل ما اذا حضروا لعقد بيع يكون حديثه معهم فى الشهادات وفى صحيح البيوع وفاسدها ونحو ذلك . وهذا خير وأولى في هذه المجالس من الخوض فى فضول الكلام وما لا تعلق له بالامر الذى من أجله جاؤا ولا بالدين رأساً . ولا ينبغى للعالم أن يخوض مع الخائضين ولا أن يصرف شيئا من أوقاته في غير اقامة الدين وهذا الذى ذكرناه من أنه ينبغي للعالم ويتأكد عليه أن يجعل مجالسته ومخالطته مع عامة المسلمين معمورة ومستغرقة بتعليمهم وتنبيههم وتذكيرهم قد صار في هذا الزمان بالخصوص من أهم المهمات على أهل العلم لاستيلاء الغفلة والجهل والاعراض عن العلم والعمل على عامة الناس فان ساعدهم أهل العلم على ذلك بالسكوت عن التعليم والتذكير غلب الفساد وعم الضرر وذلك مشاهد لاهمال العامة أمر الدين وسكوت العلماء عن تعليمهم وتعريفهم

ولا حول ولا قوة إلا بالله انتهي وتتمة ذلك (في أدب النصيحة) فاستمع لما نتلوه :

١٧ – ﴿ أدب النصيحة ﴾

من أهم الواجبات بذل النصيحة العامة لنوع الانسان كافة وهي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذين نوّهت الشرائع بعلو شأنهما وجعلتهما من أهم الوسائل النافعة في تقويم أود الامة وتشييد دعائم هيأتها الاجتماعية. غير أن النصحية لا تجدى إلا باستيفائها شروطها من الصدق والاخلاص واللين فى القول والمحبة والتجرد عن شوائب الخشونة والبذاءة في اللسان بالسباب والشتم مما تنفر منه الطباع السليمة وعلى المنصوح له أن يكون ممن روض نفسه على الانصياع والقبول لكلمة الحق من غير مشاحة ولا تعصب فتوجد إذ ذاك القابلية التامة لما بعد ذلك من التخلق بالاخلاق الحميدة والتحلي بحلى الآداب الحقة والا فما دام العناد في قبول كلمة الحق مستوليًا على القلب بجنود التعصب الاعمى فمن المحال أن يرجى لدائه شفاء ولاندمال جرحه دواء ومهما بلغت الانفس من الكمال شأواً كبيراً وحصلت من السعادة على درجة عظيمة فهي في حاجة الى النصح والارشاد ٭ وما ألطف ما قال بعض الاخيار في هذا الموضوع : الدعوة الى الهدى بنور الله ورسوله من أهم المشروعات وأكبر الوظائف الدينية، وتعليم الدين وبث أصوله في

نفوس أهله فريضة لايصح تركها والتقاعس فى ادائها بوجه من الوجوه ولا مجال للنزاع في أن احكم الوسائل وأقوم السبل لتربية الشعوب وترقية الامم هو قيام كبار الاخيار وقادة الافكار بدعوتها للبحث في أسرار الشرائع وفى مذاهب الحياة والنظر في طبائع الكون ونواميس العمران وانه ينبغي على من يأنس من نفسه القدرة على أداء هذا الواجب الملى وبث روح اليقظة بين أفراد تلك الامة أن يسعى لخير قومه سالكا سبيل الجراءة والاقدام والثبات فلا يسأم من تكرار الدعوة وموالاة الارشاد الى ما يتوسم البلوغ بسببه الى الغاية المبتغاة من سبل التقدم ومناهج الرقى فقد قالوا « ان مقاليد القلوب بأيدى الخطباء وأزمة النفوس بأيدى الكتاب » وقال الصاحب بن عباد: « اذا تكرر الكلام على السمع تقرر في القلب » وناهيك بالخطابة والكتابة اللتين يعدان من أهم دعائم العمران التى قام عليها بناء المجتمع الانسانى فانك لا تجد جمعية تألفت أو دولة قامت أو دينا انتشر أو شرعاً تقرر الا على احدى هاتين الدعامتين أو عليهما معاً فهو الآلة المؤثرة في النفوس للاقتناع بالغرض الذي تحاول جذبها اليه بمؤثرات الترغيب والترهيب والزجر والحض والوعد والوعيد ونحو ذلك. وهكذا كان حال السلف من أئمتنا ومرشدينا ممن أوتوا سحر البيان وفصل الخطاب وبذلك جاء قوله تعالى « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون »

١٨ – ﴿ أدب المناظرة ﴾

ذكر حجة الاسلام الغزالى في البـاب الرابع من احيائه أن الذين يزعمون بأن غرضهم من المناظرات المباحثة عن الحق - لان الحق مطلوب والتعاون على النظر في العلم وتوارد الخواطر مفيد ومؤثر - ماهو الا تلبيس : قال : يطلعك على هذا التلبيس ماذكروه — وهو أن التعاون على طلب الحق من الدين ولكن له شروط وعلامات ثمان (الاول) أن لا يشتغل به — وهو من فروض الكفايات — من لم يتفرغ من فروض الاعيان (الثانى) أن لا يرى فرض كفاية أهم من المناظرة فان رأى ماهو أهم منها عصي بفعله (الثالث) أن يكون المناظر مجتهداً يفتى برأيه كما كان يفعله الصحابة رضى الله عنهم فأما من ليس له رتبة الاجتهاد وانما يفتي ناقلا عن مذهب صاحبه بحيث لا يتركه ولو ظهر له ضعفه فأى فائدة له في المناظرة (الرابع) أن لا يناظر الا في مسألة واقعة أو قريبة الوقوع غالباً (الخامس) أن تكون المناظرة فى الخلوة أحب اليه وأهم من المحافل خوفاً من تحريك دواعي الرياء (السادس) أن يكون فى طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه ويرى رفيقه معيناً لا خصما ويشكره اذا عرفه الخطأ وأظهر له الحق — كما لو أخذ طريقاً في طلب ضالته فينبهه صاحبه على دابته في طريق آخر كان يشكره ولا يذمه وكان يكرمه ويفرح به

فهكذا كانت مشاورات الصحابة رضى الله عنهم حتى ان امرأة ردت على عمر رضي الله عنه ونبهته على الحق فى خطبته على ملأ من الناس فقال « أصابت امرأة وأخطأ رجل » وردّ رجل على علي رضى الله عنه فقال « أصبت وأخطأت وفوق كل ذي علم عليم » . (السابع) أن لا يمنع معينه في النظر من الانتقال من دليل الى دليل ومن اشكال الى اشكال فهكذا كانت مناظرات السلف (الثامن) أن يناظر من يتوقع الاستفادة منه ممن هو مشتغل بالعلم — هذا ملخص ماذكره الغزالى عليه الرحمة وقد أطال فأطاب وجود الامثلة في ذلك فليراجع . ومن كلامه عليه الرحمة : فانظر الى مناظرى زمانك اليوم كيف يسود وجه أحدهم اذا اتضح له الحق على لسان خصمه وكيف يخجل به وكيف يجتهد في مجاهدته بأقصى قدرته وكيف يذم من أفحمه طول عمره ثم لا يستحي من تشبيه نفسه بالصحابة رضى الله عنهم في تعاونهم على النظر فى الحق *

وذكر أيضاً عليه الرحمة من آفات المناظرة الاستكبار عن الحق وكراهته والحرص على المماراة فيه حتى تصير المماراة فيه عادة طبيعية فلا يسمع كلاما الا وينبعث من طبعه داعية الاعراض عنه حتى يغلب ذلك على قلبه فى أدلة القرآن وألفاظ الشرع فيضرب البعض منها بالبعض والمراء فى مقابلة الباطل محذور * وقد سوى الله تعالى بين من افترى على الله كذبا وبين من كذب بالحق فقال تعالى : « ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه »

وقال أيضا عليه الرحمة — فى فيصل التفرقة : فان تخبط فى جواب هذا يعنى ماقدمه من كلامه — أو عجز عن كشف الغطاء فيه فاعلم أنه ليس من أهل النظر وانما هو مقلد وشرط المقلد أن يسكت ويسكت عنه لانه قاصر عن سلوك طريق الحجاج ولو كان أهلا له كان مستتبعا لاتابعا وإماما لامأموما فان خاض المقلد فى المحاجة فذلك منه فضول والمشتغل به صار كضارب فى حديد بارد وطالب اصلاح الفاسد الخ

وقال الامام تقي الدين عليه الرحمة (١) ان المبتدع الذى بنى مذهبه على أصل فاسد متى ذكرت له الحق الذى عندك ابتداء أخذ يعارضك فيه لما قام فى نفسه من الشبهة فينبغي اذا كان المناظر مدعيا ان الحق معه أن يبدأ بهدم ماعنده فاذا انكسر وطلب الحق فاعطه إياه وإلا فما دام معتقداً نقيض الحق لم يدخل الحق الى قلبه كاللوح الذى كتب فيه كلام باطل امحه أولا ثم اكتب فيه الحق انتهى *

ولقد ذكر ان ذلك كان قاعدة الامام احمد بن حنبل رحمه الله — فى مناظرة المبتدعين *

الباب الخامس : القوانين الصحية وتوابعها

١ – ﴿ أدب حفظ الصحة ﴾

صحة الجسم من أعظم النعم التى يتمتع بها المرء فى هذه الحياة

(١) (جواب أهل الايمان في تفاضل القرآن)

فيجب عليه أن يراعيها بما يحفظها ويباعدها من ضعفها وانحلالها مراعاة أكيدة فلا يسمح له التقصير فيها بوجه ما ومن ذا الذى يحصى فوائد العافية وهي التى بها قوام الانسان ووجوده ومن ذا الذى لا يرغب في النجاة من الامراض العائقة عن كل عمل دينى ودنيوى . والعقل أكبر مرشد إلى أن من يعتني بجودة طعامه وشرابه ونظافة جسده ولباسه ومسكنه وانتقاء الهواء واجتناب ما ينهك القوى أقرب الى الصحة والعافية ممن يهمل ذلك . نعم يندر وجود من ينال تمام الصحة من جميع الوجوه ولا يدركه المرض ولكن هذا لا يمنع من الاهتمام بالوسائط المقررة لحفظ الصحة وترقيتها إلى أعلى ما تصل اليه يد الامكان .

وأخص أسباب المرض ما ينشأ عن فساد الهواء الذى يستنشق والماء الذى يشرب والطعام الذى يؤكل واللباس والمساكن التى تكمن جراثيم الامراض في أقذارها * وسنتكلم على آداب كل منها قريبا . وقد بحث الاطباء في هذه السنين الحديثة في سبب الامراض التى يمكن منعها وعرفوا انه عائد الى أجسام حية دقيقة لا تشاهد الا بالمكرسكوب (النظارة المكبرة) تدخل الجسد وتتكاثر فيه — في أقرب وقت — تكاثراً لا يحصى واذا انحصرت فى مكان واحد كالحلق تكون منها سموم يمتصها الدم ويحملها في دورته الى جميع الجسد فيحدث من ذلك حمى واضطراب عام قد يؤدى الى الموت ثم اشتغلوا بدرس صفات هذه الاجسام على انواعها وما يتعلق بحياتها وكيفية تولدها ونموها وموتها وأخرجوها من الجسد

وربوها وعالجوها بطرق مختلفة ليعرفوا ما الذى يقتلها والسبيل إلى إدخال قواتلها في الجسد بلا ضرر فى الحياة . وكثير منهم متفرغ لهذا الدرس الجليل وهم على أمل النجاح الكبير . وقد ثبت لديهم ان هذه الجراثيم أو الاعداء تنتشر من المصابين بها في الهواء وربما خالطت الطعام والماء فيكون الاصحاء عرضة لها على الدوام . وتحقق أيضا انها تدخل أجسادهم ولكنها لا تسبب المرض الا فى بعضهم واتضح لهم من درس أجهزة الجسد (بالمكرسكوب) ان في الدم خلايا تسمى بكريات الدم البيضاء تجرى فيه فاذا دخلت الجراثيم المرضية الجسد افترستها الاجسام المذكورة وأهلكتها فيسلم الانسان من غائلتها — هذا إذا كانت الخلايا صحيحة قوية كافية لمقاومة العدو . واما اذا ضعفت مع ضعف الجسد ـ بسبب فساد الهواء من ازدحام السكان أو الغازات المنبعثة من الكنف والمراحيض والبلاليع والاسراب والافراط بالشهوات أو التعب المفرط أو نقص الطعام أو رداءته أو الخوف أو الغم ـ تغلبت عليها الجراثيم المرضية وأهلكتها وفتكت بالجسد وأثارت المرض ، فاذا دخلت هذه فجراثيم الجسد حدث فيه قتال عنيف بينها وبين جيش الخلايا المذكورة التدور الدائرة على الفريق الضعيف منهما وهو شبيه بقول القدماء : « ان الطبيعة والمرض خصمان يتقاتلان والغلبة للقوي منهما » ومن الامراض ما له سبب غير الجراثيم المرضية والتفصيل في كتب الطب فسبحان من علم الانسان ما لم يعلم .

٢ - ﴿ أدب السكن وتنقية الهواء ﴾

ينبغى ان يكون المسكن بعيـداً عن المياه الراكدة وعن مطار
القاذورات والبالوعات والمعامل التى ينشأ عنها فساد الهواء وان يكون
مضيئاً متجهاً لنور الشمس، ولذا كان من يقطن في غرف مظلمة أضعف
واكثر مضرة ممن يسكن في غرف مضيئة تستقبلها الشمس ويلزم لكل
إنسان مقـدار عشرة أمتار مكعبة من الهواء ولا سيما اذا كان قبواً ،
وينبغى إبعاد الاشياء المتخمرة أو المتعفنة عن المنـازل ودوام تنظيفها
ومراعاة تجديد الهواء بفتح النوافذ مراراً . وليحذر من اغلاق النوافذ
على الناس المزدحمين في محل واحـد كالشتاء إذ يمتنع تجدد الهواء فيه
فيفسد بانفاس الجالسين فينشأ عنـه أخطار شتى . وليحذر أيضاً من
استنشاق هواء الشمعة ساعة طفئها فله سرعة ضرر لما ينشأ عنـه من
الاختناق * ويجب الاحتراس أيضاً من الفحم الغير التام الاحتراق لعظم
ضرره . قال بعض الحكماء : من دواعى الصحة الاعتياد من زمن الطفولية
على النوم والشبابيك مفتوحة في جهة نظيفة من غير تعرض لمجرى الهواء
وذلك لاقوياء البنية السالمين من الامراض . وان اكثر الامراض المنتشرة
في البيوت من عدم الاعتناء بتجديد الهواء وان الاعتناء بصفاء الهواء
يجب بقدر الاعتناء بنظافة المأكولات والمشروبات وان جراثيم الامراض
تنقطع من الاماكن التي يدخلها الضياء والهواء الصافى كما تكثر في الاماكن
المحرومة منهما . وقال حكيم : ليعلم أن نقاء الهواء معناه خلوه من موا

سامة تخالطه وأخص هذه المواد السامة ثلاث (الاولى) أبخرة منبعثـة من الجسد (والثانية) أبخرة منبعثة من الاقذار (والثالثـة) أبخرة من المستنقعات . أما المواد المنبعثة من الجسد فهي : ما يخرج منه بواسطة البخار الرئوى والجلدى . وللابخرة المذكورة رائحة خصوصية تنتشر بها الاثواب والاسرة والفرش وتلتصق بالجدران وقد تدوم زمنا طويلا وهى السبب العظيم الناشيء من ازدحام المجتمعين اذ لم يتجدد فيها الهواء فلا يخرج الانسان منها إلا ويشعر بتعب أو صداع أو ثقل في الرأس لا يزول إلا بعد التعرض للهواء المطلق برهة وشاهد كثير من الاطباء موتى اغتالتهم يد المنون من ازدحام شديد في أماكن محصورة ولهم احصاآت في ذلك شتى . فيتضح مما تقدم أن تبديل الهواء في المساكن من الامور الضرورية لحفظ الصحة ومنع المرض وأن نوم كثيرين في غرفة واحدة مغلقة النوافذ من العادات المضرة فاذا لم يمكن تقليـــل عدد النيام ترك بعض النوافذ مفتوحاً لاجل ابدال ما فسد من الهواء بالنقي منه . وكذلك الازدحام في المساجد والمدارس يوجب تطهير الهواء فيها بواسطة فتح النوافذ المتقابلة . وأما خوف العامة من دخول الهواء البارد إلى البيوت فوهم — لانه إذا كان نقيا فهو ضرورى للصحة ولو مدة النوم بشرط أن يبعد الفراش عن مجرى الهواء البارد وربما كان أقل ضرراً من تنفس الهواء الفاسد وكذا يقال في أجتناب ما فسد من هواء الاقذار والمستنقعات فان أضرار استنشـاقه جمة والتفصـيل فى كتب تقويم الصحة ٭

٣ - ﴿ أدب النــوم ﴾

يجتنب النوم في محل غير مسقوف لانه يكون عرضة للتغيرات الجوية ولايغطى الرأس غطاء ثقيلا ولايشد برباط أصلا ولايكون الفراش يابسا ولا لينا آخذاً في الارتفاع بالتدريج الى جهة الرأس ولا ينام على بطنه لاعاقته حركة الاعضاء البطنية والظهرية ولا على الظهر وأن تكون الاعضاء ، منثنية نصف انثناء لانه يسهل مرور الدم في الاوعية وراحة الاعضاء وأن يكون غطاء الرأس خفيفا والاقدام ساخنة والهضم تاما والفكر ساكنا فان كثرة التفكر وإجهاد البال عند التأهب للنوم من أهم أسباب الارق وأن يبعد عن مكان اللغط وعن الضوء الضعيف من زيت الكاز لانه يؤدى الى ضيق النفس واختناق الصدر برديء رائحته التي تفسد الهواء وأن يخرج باقة الزهور ليلا من المكان لأنها تفقد الهواء أوصافه الجيدة ولابأس بالقيلولة فى النهار الطويل أو طالب الجسم لها مطلقا ، ومدة النوم من ست ساعات الى ثمان والزيادة عليها تورث العقل خموداً *

أما أسباب الارق فقد تكون أدبية مثل الاهتمام بالاشغال والقلق للمستقبل والتعب العقلي وتعب الوجدان والحزن وتبكيت القلب وقد ينشأ الارق من أمراض طبيعية صرفة وفى الغالب ان المرء يحرم النوم بتساهله لانه لايحسن الاضطجاع على فراشه ولايتخذ الاسباب اللازمة

فان أردت أن تنام فعليك أن تتخـــذ غرفة بعيدة عن الضجة خالية من الانوار الصناعية والحيوانات والزهور والاثاث والبسـط وأن تكون معرضة كل التعرض للتهوية حتى في الشتاء وأن يكون الفراش منحنيا قليلا من الرأس الى الاقدام بحيث ترتاح فيه الاعضاء جيـداً وأن يتخذ الفراش من الصوف وتكون المخدة لارخوة ولا يابسة وأن يختار من الغطاء الخفيف ومن الوسائد القليـلة التضاعيف والنعومة وعليك أن تنام بعد الاكل بساعتين أو ثلاث فالاولى أن لاتغفى الجفون إلا بعد أن يتم الهضم . وينصح بعض كبار الحكماء للمشتغلين بالاشغال العقلية أن يناموا بعد الاكل . ومن رأيه ان الواجب ترك الدماغ يستريح خلال الهضم وينبغي أن لاتترك فى خلال أيام القيظ ويفضل النوم منفرداً وعلى النائم أن يختار وسط الفراش لينام هنيئا وترتاح أعصابه وتنبسط وأن لاينهض وذراعاه فوق رأسه كما يفعل بعض النساء تدللا لان ذلك مما يخالف نواميس (الفسيولوجيا) فاذا صدر النائم صفحةوجهه كثيراً فانه يتعب أعصاب ذراعيه وأعصاب صدره وينقبض عنقه ويهز تنفسه فلا يمتد طويلا وعليه فالواجب أن يكون الرأس واطئا ما أمكن حتى يتسرب الدم الى الدماغ على صورة منتظمة وان يتمـدد الجسم كل التمدد وان لاينثني الساقان ولايشبك احدهمـا مع الآخر وان لاترفع الركبتان ولا ينفع النوم مستلقياً على الظهر . ويؤكد بعض الاطباء ان هذا الضرب من النوم ينشأ عنه مرض النخاع الشوكي وربما كانوا مبالغين فى تصورهم

على أن النوم بالاستلقاء يحدث أرقاً مضنياً أو كابوساً أو أضغاث أحلام والنوم على الشق الايسر أصعب حالا من الاستلقاء أيضاً لانه يوقف الهضم ويؤدي الى ضيق النفس والاختناق ، والى حدوث حركات في القلب تضغط عليه وتؤذيه . وعلى النائم أن لا ينام وبطنه منبسط ، فالافضل أن ينام المرء على جانبه الايمن لما في ذلك من النفع للحواس وعلى هذه الطريقة ينبغي لنا تعويد أولادنا ، وأن نقتصر نحن أيضاً أن ننام مثلهم *

واذا حدث لنا قلق فالواجب علينا أن نعمد الى الطرق البسيطة لجلب الكرى الى العيون ، وذلك بالمشي والاستحمام وشرب الحليب الحار ، ولا ينبغي أخذ شيء من العقاقير والمخدرات لانها ضارة وتأثيرها موقت لا يلبث أن يزول . هذا وعلى كل انسان أن لا يغفل أمر النوم فقد قال حكيم : ان في النوم لصحيحي الجسم قوة وفرحا . وللمريض شفاء وهناء *

٤ – ﴿ أدب اللباس ﴾

ينبغي أن يكون غطاء الرأس خفيفا ، والاقمصة والسراويل من كتان أو قطن بيضاء غير مصبوغة ، وأن تغير وتغسل كثيرا ، ولا ينبغي مكثها على بدن الفقير أكثر من أسبوع . ويغيرها الغني كل يوم أو ثلاثة أيام في الاسبوع *

ولا يلبس الصوف مباشراً لبدنه الا فى بعض الامراض والاشخاص الضعاف . ويلبس مدة الزمان البارد كالشتاء . ويغير كثيراً لانه سريع الاكتساب للعفونة . ولا يلبس الواسع الذى لايحيط بالجسم ولا يقي من البرد ، ولا الضيق المعيق لحركة الدم والجسم . ولا تشد أربطة الاطراف ولا الحزام . لانه يعيق دورة الدم . ويسبب الفتاق . ولا يضغط عضلات العنق والحنجرة بقبة عالية أو تزرير ضيق لئلا يضعف الصوت ويوقف الدورة أيضا . ويلزم أن يكون ما يلبس في القدمين مدفئا، لا واسعا — لانه لا يضغط على الاقدام وينخلع في حال المشى ويتعب الماشى، ولا ضيقا لانه يعيق الدورة ويحدث قروحا أو يبوسات مؤلمة . ولبس الجورب مفيد لانه يصون القدم من البرد فيلزم أن تكون في الصيف من قطن أو كتان وفي الشتاء من صوف . ويلزم تهوية ثياب النوم كفراشه يوميا *

٥ – ﴿ أدب نظافة الجسم والاستحمام ﴾

الوساخة مذمومة مضرة بالصحة تولد القمل وتسبب الامراض الجلدية كالجرب والجزام والقرع . دع عنك ما تسببه من الروائح الكريهة والمنظر القبيح المرء واجتناب قربه واستقذار مخالطته فيلزم أن يتعهد الجسم بالغسل والاستحمام * أما غسل الاطراف ففى كل يوم مراراً وأما الاستحمام فمرتين فى الاسبوع صيفا ومرة فيه شتاء ويكون بالصابون

والليف لازالة الوسخ المتراكم من عرق البدن ولتبقى مسام الجلد مفتوحة تفرز المواد المذابة في العرق والاشخاص المعرضون للغبار يلزم اعتناؤهم بالاغتسال أكثر من غيرهم ولا يستحم وجسده معيي من تعب عقلي أو جسدي أو عقب الطعام *

٦ - ﴿ أدب الطعـام ﴾

المطاعم ترادللصحة لا للذة لانها خلقت لتصح بها أبداننا وتصير مادة لحياتنا فهي تجرى مجرى الادوية يداوى بها الجوع والالم الحادث منـه فينبغي أن يأخذ المتأدب بما يذكر :

لايتناول الطعام الا اذا صـدق الجوع . لا ينبه الشهوة بوسائط . لايتأخر عن تناوله اذا طلبته النفس * لا ينتظر زيادة التوق اليه لانه قد يفضى به الى الشره * لايجعل هجيراه مدح الطعام الذى يستعظمه أهل الشره، يقبح عنده صورة من شره اليه ونال منه فوق حاجته. لايبادر اليه اذا جلس مع غيره. لايديم النظر الى ألوانه ولا يحدق بها . لا يسرع في الاكل* لايوالى بين اللقم * لا يعظم اللقمة ولا يبتلعهـا حتى يجيد مضغها لايلطخ يده ولا ثوبه ولا يلحظ من يؤاكله * لا يتبع بنظره مواقع يده من الطعام. يعود نفسه على أن يؤثر غيره بافضل ما يليه . يضبط شهوته حتي يقتصر على أدنى الطعام وأدونه . يأكل الخبز بلا ادام أحيانا . يحترز من تنـاول الشديد البرودة والسخونة فان له اضراراً جمة منهـا

تسويس الاسنان ولذا يلزم تنظيف الاسنان بعد الاكل بسواك أوفرشاة وماء لازالة آثار الطعام المتحللة * لا يأكل طعاما قبل هضم الاول . والزمن اللازم للهضم خمس ساعات الى ست ومع ذلك فلا تشغل المعدة بالاكل بمجرد مضي ذلك بل يجب أن يكون بين الاكلتين ست ساعات أو سبع مع وجود الشهية الصادقة والا فيلزم الامتناع حتى توجد . ويجتنب الاكل ليلا لان فيه مبتدأ النوم مع اشتغال المعدة بالهضم فيجتمع فعلان في الجسم يشوش أحدهما على الآخر فينشأ عنه سوء الهضم والتعب في النوم * وينبغي أن يكون مقدار الغذاء قليلا لاسيما لمن كانت أشغاله عقلية لئلا يثقل الجسم ويغالبه النعاس فيختلط فكره ولا يتمكن من اتمام عمله ويكون العشاء أكثر قليلا لان الاعمال النهارية تمت وجاءت برودة الليل فيسهل الهضم *

٧ — ﴿ كيفية الأكل ومدته ﴾

ينبغي للآكل أن يغسل يديه قبل الطعام وبعده غسلا جيداً وإن كان بصابون فهو أولى وأن يجلس على المائدة مستويا باحتشام لا متكئا ولا منحنيا بصدره ولا باسطا يديه على الخوان * وأن يضع الخبز على شماله والملعقة والشوكة والسكين عن يمينه * وأن لا يمس بيده سوى الاشياء الجافة كالخبز والثمار * وأن لا يشم رائحة الطعام قبل أكله وأن لا يضع في صفحته أكثر مما يأكله وأن يجزىء ما يضعه أجزاء صغاراً

ولا يأكله لقما كباراً . ويأكل بيمينه الا لضرورة ويجتنب الاسراع المفرط والبطء كذلك وتكون مدته عشرين دقيقة الى ثلاثين فان طالت فلا تزيد على ساعة * ويجتنب الاكل وقت الغضب والانفعالات النفسانية لخطر أعراضه حالتئذ ولا بد وقت الاكل من راحة المفكرة ليحصل الهضم فلا يخوض فى العويصات ولا في الامور المحزنة ولا يتذكرها وليحذر نفخ الطعام الحار ويجب المضغ جيداً وسحق الجامد بالاضراس قبل الابتلاع وان يمضغ بتمهل لا بسرعة وألا يستعان على المضغ بسائل كالشاى والقهوة والماء لان الغدد اللعابية تفرز سائلا كافيا لتبليل الطعام الجاف . وافراط الشرب وقت الاكل مضر جداً وينبغي الاحتراس من المبادرة الى الاكل عقب شغل عقلى أو بدني لانه ينتج مرضا فى أعضاء الهضم ولا يسوغ تناول طعام غليظ أو كثير في أثناء السير على عجلة أو دابة بل يكون لطيفا وقليلا * ومن فرغ من الاكل في دعوة فليقلل الجلوس من غير حاجة وليستأذن في الانصراف ويجتنب القران في تمر ونحوه لما فيه من الشره والخطر على المبلع وليحذر من نفض اليد في الاناء وتقديم فمه الى الاناء عند اللقم ومن غمس اللقمة الدسمة في خل أو نحوه ومن غمس اللقمة التي أكل منها في المرقة ومن عض طرفها ثم وضعها في المطعوم ويحول وجهه عند السعال والعطاس ويخلل أسنانه بعد الطعام لافى أثنائه ولا ينقل الضيف ما لديه الى غيره ولا يخلط طعاما في غيره الا فى وعاء لديه ولا يتصنع بالانقباض فيوحش

الحاضرين ومن لم يستطب طعاما فلا يظهر اشمئزازاً لئلا يأنف غيره منه ويتكلف الانبساط بالحديث الطيب والموعظة الحسنة ولا يرفع من حضر مع جماعة يده عن الطعام قبلهم حتى يكتفوا الا أن يعلم منهم شرها ولا يمدح طعامه وتقويمه لانه دناءة ولا بأس أن يأكل ما يكسر نهمته قبل ذهابه للدعوة * وأنسب أوقات الغذاء قبل الزوال بساعة أو ساعتين والعشاء قبل غروب الشمس بساعة *

٨ - ﴿ أدب الشـــرب ﴾

من المعلوم ان الماء ضروري للحيـاة فان الانسان لا يعيش بلا ماء إلا ثلاثة أيام كما لا يعيش بدون الطعام إلا ثلاثة أسابيع وبلا هواء إلا ثلاث دقائق *

وقد ثبت في العلم الطبيعي أن مصادر المياه من البخار الذى يصعد من سطح البحر ويتكاثف في الجو بواسطة البرد ويسقط الى الارض فيذهب بعضه الى البحر والبحيرات وبعضـه يغور فى التراب ويخترق الطبقات الصخرية أو ينحدر من بعض شقوقها الى الاسفل ثم يخرج من تحتها الى ظاهر الارض على هيئـة الينابيع أو الانهر أو يبقى فى باطنها فيتوصل اليه بواسطة حفر الآبار *

فأما ماء المطر فهو نقى لا يخالطه إلا آثار من المواد التى يكتسبها من الهواء غير أنه يفسد في المدن الغاصة بالسكان التى أبخرتها كثيرة من

إشعال النيران أو منبعثة من الارض فلا يبقى صالحا للشرب ويفسد أيضاً إذا جمع في أحواض غير نقيـة * نعم اذا حفظ في الصهاريج التى تقيه من الاكدار فلا مانع منه *

وأما ماء العيون والآبار فنقى صاف بارد من أفضل المياه للشرب ولو خالطه شيء من الكلس *

نعم ماء الآبار القريبة من المراحيض أو من البالوعات التى تنحدر فيها المياه القـذرة واجب الاجتناب عنها لان البئر النقي هو الذى يكون ما حوله خالياً من الاسراب ويكون ما حوله بمقـدار عمقه فليتنبه لهذه الفائدة *

وأما ماء الانهر فكثيراً ما يكون مكدراً بالتراب أو الرمل أو تحايل النبات أو جثث الحيوانات التى تلقى فيـــه وبما يندفع اليه من الاقذار والاسراب فلذلك يلزم تصفيته قبل استعماله أو غليه نحوعشر دقائق وهى طريقة سهلة فى اهلاك الجراثيم المرضية كما حققه الاطباء *

وأما أدب تناوله فان يأخذ إناءه بيمينه ويشرب مصاً لا عباً ولا يشرب قائماً ولا مضطجعا وينظر قبل الشرب في الاناء ولا يتجشى ولا يتنفس فيه بل ينحيه عن فمه ويبدأ في السقى بالافضل ويدار منه يمنة *

٩ — ﴿ حكمة فى الدخان ومضراته ﴾

كثيراً ما يشاهد المرء أموراً يراها فى نظره الضئيل طفيفـة غير

مكترث بهـا ولا ناظر إياها نظرة محقق بل يغفل عما وراءها من المنافع والمضار وضم إلى ذلك بعض من أخذ منهم الغلو مأخذاً عظيما فاعتقد بعض الاشياء المضرة بالجسم المنهكة للقوى نافعة جـداً شأن كل من استحكمت فيه العادة وتمكنت منه باستحسان وانجذاب نفسانى حتى أفضى حبه الى قلب الاعيان ظهراً ابطن ، ولا بدع فحبك الشيء يعمى ويصم *

ومما يجرى هذا المجرى في استحكام العادة وتهافت النفوس بكليتها عليه — مع اعتراف الكثير بمضراته — هو الدخان فقـد ثبت لدى الباحثين المحققين من الاطباء مضراته العديدة ومن ذلك تأثيره على الفم والمعدة بتهييج الاصل الفعال فيه الغشاء المخاطى الفمي لما يحدث من ذلك التهاب اللسان وقروح الحلق والتهاب اللوزتين وتكدير الافراز اللعابى واصفرار الاسنان وتعريضها للسوس *

وتأثيره على الدم : — لانه يذيب بعض الكرات الحمراء . ويغير شكل البعض الآخر ويذهب كثيراً من قوة جذبها للجوهر الحيوى (أوكسيجين) وتأثيره على الافرازات لمروره في الدورة بأسرع من خمس ثوان وتهييج القليل منه عرقاً وتهيئها للامراض وتعريض الجـلد للامراض الجلدية وتأثيره على المجموع العصبي والعضلى : فقـد يحدث تكدراً وخموداً في الاعصاب ورعشة عصبية عظيمة في البصر وخموداً واهتزازاً عضلياً الى غير ذلك من المضرات التى ملأت بطون المجلدات

الطبية وطفحت بها المجلات العلمية *

ثم هل يخفى على القارىء بعد المضرات الصحيـة التى تخل بنظام الجسم — المضرات المادية التى تخل أيضاً بالحياة الاجتماعيـة والادارة الشخصية بما تلتهمه من الدراهم والدنانير وتجعلها عرضـة للهلاك والدمار كما قال بعضهم : فهذه النارجليـة كم أهلكت من مال وأحدثت من داء وأدخلت فى عبودية فلو أن شخصاً تصـــدى لجمع ما أنفقته وتنفقـه « سوريا » وحدها فى سبيل النارجيـلة لرأى أمام عينيه جبل ذهب . ولو أنه عني بعدّ من قضى بسبب النارجيلة مصدوراً لتمثل شهداءها جمعاً كثيفاً ، وأما أنها أدخلت في العبودية فهؤلاء محتكرو التنباك لا يأتمرون في تسعيره إلا بأوامر الطمع فيرفعون سعره ويغلون ثمنـه كما يشـاءون وما من داعية لهذا الغلاء الذى دخل في باب الغلو الا طمع المحتكرين *

نحن لا ننكر أن بعضا من الاطباء قد ذكر له منافع لكن أين هي من مضاره التى تربو عليها ، بل ليست تلك المنافع أمام تلك المضار شيئاً مذكوراً على أن أكثر تلك المنافع التى ذكرت ليست من أصل طبي بل أغلبها وضع لترويح النفوس وتنشيط الافكار والعضـلات على العمل العقلى واليدوي فقد قال أحدهم : « إن استعمال التبغ في بعض الظروف نافع لانه يخمد الانفعالات النفسانية ويريح الانسان من الاتعاب العقلية والجســدية .قال ان الصانع الذى أنهك قواه الجسدية بالاتعاب الشاقـة مدة نهاره يجـد مساء في غليونه نوعا من الراحة وتعويضا عما فقد من

قواه الطبيعية ومثله العالم الذي يكون نهاره في التبحر في المسائل الدقيقة واحدودب ظهره وتقعر صدره من الانصباب على التأليف والتسطير يصادف راحة في ظل سحابة غليونه الزرقاء والمسافر الذى يخوض البحار ويطوى القفار يصادف فى دخان غليونه ما يدفع عنه أذى الاهوية المفسدة والابخرة السامة والمياه المختلفة »

فانظر تلك المضار الآنفة الذكر ثم قابل بينها وبين هذه المنافع ألست ترى بينهما بوناً كبيراً . أليست وضعت هى للتحريض على العمل والحض على الاقلاع عن الكسل *

تلك مضار أصبحت اليوم من البديهيات وهذه أشبه شىء بالخيالات الشعرية الوهمية وما أبعد ما بين الحقيقة والخيال

هذا ومن أراد الوقوف على مضاره بتمامها وحدا به الشوق على الاطلاع عليها فليراجع رسالة « الشاى . والقهوة . والدخان » (١) ولو لم نقتصر فى هذه الرسالة على الآداب المهمة اللازمة بدون إسهاب ممل لسردنا هنا ضروباً من أضرارها وسودنا هذه الصفحات بنتائجها وآثارها *

١٠ - ﴿ أدب الرياضة ﴾

ترويح الفكر بالرياضة من تجول وتحريك أعضاء أو تأمل فى منظر بهيج مفيد للجسم فائدة كبرى سيما لذوى الاشغال العقلية كالتصنيف

---

(١) للمؤلف

والمطالعة والتدبر فى المعاني والنظم والنثر فان الدأب على شغل واحد موجب للضجر وضيق الصدر وانفع الرياضات في حفظ الصحةمايتحرك بها كل العضلات حركة معتدلة فانها تنميها وتقويها وتحال فضولهاوتجعل البدن خفيفا نشيطا بسبب تكوين الحرارة الغريزية لانه كلما زاد سيلان الدم في الجسم زاد أيضا رسوب دقائق جـــديدة فى الانسجة ونزع الدقائق التالفة ولذلك ترتفع درجة حرارة المتحرك أكثر من الساكن وأحسن أوقات الرياضة الصباح لان الهواء وقتئذ جاف ونقي وقوى الجسم أشد ويجب تجنب الرياضة الشاقة قبل أكلة مستوفاة أو على أثرها ولا بد أن تكون الرياضة في الهواء النقى وفى نور الشمس فان تأثيره في الانسان مثله فى النبات سيما لدارس العلم فانه يتأكد له رياضة فى النهار لا في المساء *

١١ - ﴿ الألعاب الرياضية ﴾

يقول بعضهم : ان الرياضة الجسدية فى الالعاب الرياضية صحية أخلاقية إذ يستعان على صرف أهواء الشبان عما يضرهم والاخذ بها إلى ما يفيدهم فان في النفس ميولا متعددة وأهواء متباينة كامنة فما استعمل منها ونشط نما وتغلب على مباينه وأصبح ملكة راسخة · ولذلك يجب أن يعدل ميل الشبان ويصرفوا عن الضار الى النافع ويستعان بالالعاب الرياضية على ذلك . والالعاب الرياضية متعددة وليست كلها نافعة فعلينا

ان نختار الانفع منها للصحة و نصرف النظر عما لا يقصد به الا الفات نظر متفرج جالبا للدرهم مما لا طائل تحته وما نؤثره حري ان ننظر فيه من وجهين (أحدهما) النفع الصحى ، (وثانيهما) ضرورة الاحتياج اليه فى وقت ما فان الحياة عرضة للاخطار كما تمس الحاجة الى معرفة السباحة والعدو تحفظا من الغرق وأهوال الحرب . وقد اثبت التحقيق ان من جملة ما أعان على انتصار بعض الدول في المواقع البرية كون بلادهم جبلية وهم مروضون على الصعود والنزول فيها . والذي يهمنا الآن من ضروب الرياضة هذه الانواع (١) العدو على اختلاف ضروبه من حيث السرعة (٢) حمل الاثقال الخفيفة (٣) القفز ويدخل فى عداد أنواعه — وربما كان انفعها — القفز على الحبل المتداول في المدارس (٤) المصارعة . (٥) الملاكمة (٦) كرة القدم (٧) المتوازيين (٨) السباحة (٩) الجر الخفيف في الاثقال والكاوتشوك

ولا بد للمعلم — فى اختيار نوع الرياضة لتلميذه — من النظر فى تناسب أعضائه قبل كل شيء، واختيار النوع من الرياضة الذى يسبب اشتغال تلك المحال الضعيفة كى يتناسب الجسم مثلا : اذا كان موضع عدم التناسب في الصدر — كأن يكون الصدر ضيقا — فانه يشير باستعمال آلة الصدر أو كان موضع الدمامة وسوء التناسب في الرجلين مثلا فانه يرشد الى استعمال كرة القدم الانكليزية وما قام مقامها .

وثمة طريقة تفضل غيرها — وهى وان كانت لا يمكن تلقينها كتابة

اذ لا يتأتى تعليمها وتعلمها الا بواسطة معلميها الاخصاء. إلا أنه يكفي الاشارة اليها والتذكير بها وهى مع قربها عجيبة النفع يصبح مستعملها بعد ثلاثة أشهر قويا وضخما مهما كان في بادىء أمره نحيفا ودميا . واستعمالها بواسطة اكر حديدية صغيرة ثقلها من الكيلو غرام الى الاربعة أو الخمسة كيلو غرامات حسب حالات التلامذة المختلفة سنا واستعداداً ولذلك هي مقدرة بدرجات معدودة (منمرة) وهذا الترتيب العجيب يتكفل بتحريك كل عضو على حدته وتتفرق الفائدة وتتصل بكل محل في الجسم فينجح التلميذ نجاحا عاما ، وهي عبارة عن (٢٨) حركة عند الاختصاصيين وتزيد عدتها وتنقص وتختلف اختلافا مقدارا عند بعض المعلمين الآخرين حسب آرائهم *

ولا يحمل النحفاء اليأس وتوهمهم عدم قبولهم للنمو على ترك الاجتهاد والتمرن فقد أثبتت تجارب أحد كبار المعلمين نتائج تفرحهم وتخفف من يأسهم وقنوطهم وقد حدث أقوى أقوياء بعض الممالك أنه نال تلك المقدرة العظيمة بفضل اجتهاده ومثابرته فصارت قوته مكتسبة وكان قبل نحيفا هزيلا للغاية وما ذلك الا لعنايته ومعرفته الاسباب والتمسك بها *

وهكذا ينبغي أن يهتم النساء مثل اهتمام الرجال بالرياضة الجسدية أو أعظم كي تتضاعف الفوائد وتشترك بين الجنسين وتكون الاجنة أقوياء قوة مضاعفة وهذا درس أولي نهديه للشبيبة العزيزة اه ملخصا

١٢ - ﴿ أدب السباحة ﴾

كتب بعضهم فى ذلك مامثاله :

كان الاقدمون يهتمون بأمر السباحة اهتماما عظيما — لانها تقوي العضلات وتنشطها دون أن تتعب البدن تعبا شديداً وهذا الفن هو بدون شك من أقوى المروضات البدنية ، فالسباحة تجمع بين الرياضة والنظافة فضلاعن انها تجعل الاستحمام بالماء البارد مقبولا عند الاطفال حتى وعند الكبار الذين لا يحسنونها ولا شيء ينشط القوى العضلية ويسكن الجهاز العصبي ويزيد فى خفة ومرونة الانسجة مثل رياضة السباحة. وهي فضلا عن ذلك تهيج القابلية وتساعد على الهضم وتحسن تغذية البدن وتعدل وظائف الرئتين والقلب وتزيد في الصفات العقلية قوة ونشاطا »

قال حكيم : « يخشى بعض الناس من غرق الاولاد على انى لاأرى للآباء عذراً على هذا الخوف — لان الولد اذا غرق وهو يتعلم السباحة أو غرق لكونه لا يحسنها فاللوم في الحالتين عائد علي ذويه لانهم لم يراقبوه وقت تعليمه او لانهم أهملوا تعليمه ، ولا ريب ان السباحة هي من أقوى العوامل التي تعود الصغار على احتمال تغيرات الطقس من حر الى برد وتقوى أجسامهم فلا يصابون بالهزال ولا يكونون معرضين لاعوجاج العمود الفقرى ، ذلك لان السباحة تنشط البدن بوجه العموم

فتكسب الجلد صلابة ويتسع بها الصدر لأنها تقوى العضلات الممدة له
وليس علم السباحة بالامر الصعب فلا يلزم للانسان سوى بعض الحركة الخفيفة ليبقى عائما على وجه الماء (وفوائد السباحة) كثيرة (منها أولا) انتعاش البدن ببرودة الماء لا سيما في فصل الصيف بسبب ما يفقده الجسم من الحرارة وقت الاستحمام (ثانياً) ترويض الاعضاء بسبب ضغط الماء على الجسم وتموجه (ثالثاً) تنبيه الجلد وتنظيفه وانفتاح مسامه وزيادة مرونته وكل هذه المفاعيل تحسن الصحة . وتكسب الانسجة الضعيفة صلابة تساعد الجلد على القيام بوظيفته المهمة وهى افراز بعض الفضول السامة مع العرق ، فالسباحة والحالة هذه تفيد المهزولين وأصحاب المعى الضعيفة والمصابين بالامراض العصبية وترد النوم لاجفان المصابين بالارق وتنعش قوى الجسم بوجه العموم حتى لا تعود تغيرات الطقس تؤثر فيه ولا سيما فعل البرد ، وتقيه النزلات الصدرية. ولكي يحسن الانسان السباحة لا بد له من الابتداء بتعلمها منذ حداثة سنه وعلى السابح أن يتنفس بكل هدوء وسكينة ويتصور أن الماء مستند طبيعى وان يترك الوهم والخوف جانبا ولا يلزمه أن يصلب أعضاءه كما يفعل الكثيرون عند ما يحاولون السباحة لاول مرة بل يلزمه ان يتراخى ويحرك ساقيه ويديه بكل تأن وبلا عزم لان اجهاد القوى لا يفيد شيئاً ولكنه مضر يتعب السابح* هذه هي أهم الامور التى يجب على الانسان أن يعرفها إذا أراد تعلم السباحة واذا اتبع السابح النصائح

التي ذكرناها ولا سيما عدم اجهاد قواه يبلغ من الاتقان شأواً بعيداً لان ما ذكر من قواعد السباحة مأخوذ عن عوّام شهير قطع البحر سباحة بين فرنسا وانكلترا (خليج المانش) وذلك غاية ما وصل اليه الانسان من اتقان فن السباحة *

وما أحرى القاطنين على سواحل البحر وشواطىء الأنهر ومن يقضي فصل الصيف على السواحل أن يهتموا بتعليم أولادهم السباحة وأن يتعلموا معهم إذا كانوا لا يحسنونها لانها تفيد أجسامهم كما ذكرنا وربما كانت سبب نجاتهم من مخالب الموت * وفي المثل الدارج « الذي يحسن السباحة له عمران »

١٣ - ﴿ أدب المريض ﴾

يلزمه حسن الصبر وقلة الشكوى والضجر واستشارة طبيب حاذق عالم باصول نواميس الصحة دارس لقواعد الطب ، والتداوي بما يشير به وقوفاً مع الاسباب التي وضعها المولى جل شأنه ثم التوكل بعدها في الشفاء عليه سبحانه . ويلزم في كل الامراض الراحة جسداً وعقلاً ، فيسكن عن الدروس والمصالح التجارية . ويلزم أن تكون غرفة المريض غير معرضة للأصوات لئلا تزعج المجموع العصبي وأن تكون نظيفة يشرح الصدر منظرها فان منظر الكريه يزعج المريض ويزيد في ألمه . ويلزم أن تكون غرفة المريض واسعة يدخلها هواء كاف وان يكون أثاثها

قليلا لئلا ينحبس فيها هواء فاسـد وأن لا يكون نورها قويا لئلا يهيج دوران الدم في الدماغ وأن يساعد على تهويتها دائما ليتنفس المريض نقي الهواء فيدور الدم في الجسم نقيا فيقوى فتشتد قوة المزاج على مدافعة المرض،فان الهواء الفاسد في غرفة المريض يطيل الداء وقـد يميت العليل تدريجا . ويؤخر فراشه شيئا ما عن نافذة الهواء ، وتهوى أمتعته وفراشه يوميا وأن لا يتناول دواء ويذوقه الا باشـارة طبيب ماهر كما قدمنا فلا يصغى لمن يصف دواء وهو غيرطبيب اذ لايجوز لغيرحكيم وصفدواء*

١٤ — ﴿ أدب الطبيب ﴾

قال الحكيم داود الانطاكى فى مقدمة تذكرته : يجب على الطبيب اتقان العلوم التى تتوقف الاصابة فى العلاج عليها وأن يكون متينا في دينه متمسكا بشريعته دائراً معها حيثما دارت ، نسبته إلى الناس بالسواء خلى القلب من الهوى، لا يقبل الارتشاء ولا يفعل مايشاء ، ليؤمن معه الخطأ وتستريح اليه النفوس من العناء . وهاك صورة العهـد الذى كان يأخذه أبقراط رئيس هذه الصناعة على متعاطى الطب . كان يقول له : قل برئت من قابض أنفس الحكماء وفياض عقول العقلاء ورافع أوج السماء مزكى النفوس الكلية وفاطر الحركات العلية ان خبأت نصحا أو بذلت ضرراً أو كلفت شرا أو تدلست بما يغم النفوس وقعه أو قدمت ما يقل عمله اذا عرفت مايعظم نفعه ، وعليك بحسن الخلق بحيث تسع الناس ولا تعظم مرضا عند صاحبـه ولا تسر الى أحد عند مريض ولا

تجس نبضـــا وأنت عابس ولا تخبر بمكروه ولا تطالب بأجر وقدم نفع الناس على نفسك واستفرغ لمن القى اليك زمامه مافى وسعك فان ضيعته فأنت ضائع وكل منكما مشتر وبائع والله الشاهد على وعليك فى المحسوس والمعقول والناظر الى واليك والسامع لمـــا نقول فمن نكث عهده فقـــد استهدف اقتضائه الا أن يخرج عن أرضه وسمائه وذلك من أمحل المحال فيسلك المؤمن سبيل الاعتـــدال . قال الحكيم داود قد كانت اليونان تتخذ هذا العهد درسا والحكماء مطلقا تجعله مصحفا

١٥ – ﴿ أدب العيـــادة ﴾

خفة الجلسة وقلة السؤال واظهار الرقة والدعاء بالعافية وغض النظر عن عورات الموضع . والاحسن فى العيادة أن يستخبر من أهله أو يجتمع بهم وحدهم أو يهدى اليه السلام فقد قال بعض الاطباء : لا يجوز ازعاج المريض بالعيادة ولو كانت قصيرة لان التنبيه الناشىء من زيارته يؤذيه ويزيد في مرضه سيما بعيادة الثقلاء ومن لا يعرض عن اللغو ، وان لا تسمع الاصوات في غرفتـــه ولكي يتم ذلك فلا يجوز أن يبقى فيها أشخاص أكثر ممن يلزم لخدمة المريض، وأن تكون حركات خدمته برفق وبلا صوت، ويحترز عن اغلاق الابواب بعنف وعن صرير المفصلات وعن النجوى إذا كانت كثرتها تضيق صدر المريض، ولا يجوز اخباره بما يكدر ولا الاشارة الى خطر مرضه *

١٦ – ﴿ أدب تشييع الجنازة ﴾

لزوم الخشوع وترك الحديث وملاحظة الميت والتفكر في الموت والاستعداد له وأن لا يذكر الميت الا بالجميل المعروف منه *

١٧ – ﴿ أدب المعزىّ . بكسر الزاى ﴾

التوجع المصاب والتحزن والدعاء له وتسليته بما يخفف ألمه لا بما يهيج أشجانه وقلة الحديث وترك التبسم والمجون *

١٨ – ﴿ أدب المعزىّ . بفتح الزاى ﴾

التجلد والصبر والتصبر والتسليم لامره تعالى والتذكر بأن ما أصابه هو سنة الله في خلقه . قال حكيم : من علم أن أحداً من الناس لم يأخذ على الله عهداً بدوام النعم والسلامة من الآفات وان مافي أيدينا من مال وولد وعز وجاه انما هو عارية أعارنا الله اياها ولو شاء منعها فلم يعطها كان حريا أن يتوقع استردادها في كل حين وزوالها في كل يوم فاذا زالت لا يرد على النفس ما يزعجها ولا يفاجئه مالم يكن يترقبه ومن نظر فى أمر هذه الحياة وخبر شؤونها وتصرفاتها وقتلها علما وتجربة علم أنها معترك هائل يموج بالرزايا موجا وان الانسان فيها بمثابة المخاطر في معترك الحرب إن فاتته ضربة سيف لا تفوته طعنة رمح أو رمية سهم غير أن لكل طبقة من الناس بلايا خاصة ومصائب تغاير

مصائب الطبقات الاخرى وإن كان أثرها في الـكل واحداً فمن أراد بعد هذا من حياته صفاء لا يشوبه كدر وسعادة لا يخالطها شقاء فليعش في عالم غير هذا العالم وليطلب حياة غير هذه الحياة ذات نظام غير هذا النظام وسـنة غير هذه السنن ان استطاع اليها سبيلا . « ولن تجد لسنة الله تبديلا »

١٩ - ﴿ أدب زيارة القبـور ﴾

تستحب زيارة القبور للرجال وتكره للنساء الا أن يقع منهن محظور فتحرم عليهن فالزائر يقف أمام القبر ويقرب منه ويسلم على صاحبه ويدعو له ولا يتمسح بالقبر ولا يصلى عنده لثبوت النهي عن ذلك في المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم ويقول اذا دخل المقبرة السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون (١) يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين * نسأل الله لنا ولكم العافية ، اللهم لاتحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم (٢)

والقصد من الزيارة الدعاء للميت والاعتبار به وترقيق القلب وتذكر الآخرة وانما يحصـل له الاعتبار بأن يصور في قلبه الميت كيف تفرقت أجزاؤه وكيف يبعث من قبره وانه على القرب سيلحق به(٣)

٢٠ - ﴿ أدب زيارة النبى ﷺ ﴾

من أقبل على المدينة المنورة فليكثر من الصلاة والسلام على النبي

(١) الاستثناء يرجع للحوق بوصف الايمان اه (٢) عن الاقناع وشرحه (٣) للامام الغزالى

صلوات الله عليه وسلامه وليغتسل قبل الدخول اليها وليتطيب وليلبس أنظف ثيابه . ثم يقصد المسجد النبوى ويصلى فيه بجنب المنبر ركعتين ثم يأتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيقف عند وجهه الكريم وذلك بأن يستدبر القبلة ويستقبل جدار القبر الاعطر على نحو من أربعة أذرع ولا يمس الجدار ولا يقبله بل يتأدب في الوقوف من بعد ويقول : السلام عليك يا رسول الله . السلام عليك يا نبى الله . السلام عليك يا حبيب الله . السلام عليك يا خيرة الله من خلقه . السلام عليك يا أكرم الخلق على ربه . السلام عليك يا امام المتقين . السلام عليك يا خاتم النبيين . السلام عليك يا فاتح البر . السلام عليك يا نبي الرحمة . السلام عليك وعلى أهل بيتك الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . السلام عليك وعلى أصحابك الطيبين وعلى أزواجك الطاهرات أمهات المؤمنين جزاك الله عنا أفضل ما جزى نبيا عن قومه ورسولا عن أمته . وصلى عليك أفضل وأكمل وأعلى ما صلى على أحد من خلقه كما استنقذنا بك من الضلالة . وبصرنا بك من العماية . وهدانا بك من الجهالة . أشهد أن لا إله إلا الله . وأشهد أنك عبده ورسوله وأمينه وصفيه . وأشهد أنك قد بلغت الرسالة . وأديت الامانة . ونصحت الامة . وجاهدت عدوك وهديت أمتك وعبدت ربك حتى أتاك اليقين ، فصلى الله عليك وعلى أهل بيتك الطيبين وسلم تسليما .

ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على أبى بكر الصديق رضى الله عنه

ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على الفاروق عمر رضى الله عنـــه ويقول : السلام عليكما يا وزيرى رسول الله صلى الله عليه وسلم . والمعاونين له على القيام بالدين ما دام حياً والقائمين فى أمته بعده بامور الدين . تتبعان في ذلك آثاره وتعمـلان بسنته فجزاكما الله خير ما جزى وزيرى نبي عن دينه(١)

٢١ - ﴿ وصية فى التشييع وما بعده ﴾(٢)

يعجب العاقل من بدع عم ضررها وفشا بلاؤها واستحكمت جرثومتها في نفوس كثيرين حتى أصبح طرحها بدعة والتمسك بها سنة *

هذا هو تشييع الجنـازة اليوم قد حوى من البدع المضرة ما لا تتسع لبيانه هـــذه الوريقات ، يعلم ذلك من رجع الى أمهات السنة وكتب الفقه *

ولئلا أخلى القراء من الفائدة أورد لهم هذه الوصية — الوصية في التشييع وما يعقبه — لاحد الفضلاء عبرة لقوم أشرب قلوبهم حب الظهور أو التظاهر . بل الفخر أو التفاخر لعلهـم يتذكرون أو تنفعهم الذكرى وها كها بنصها الفائق قال :

« وصيتى لاقربائي ، وأصحابى وأصدقائى »

إذا نعيت اليكم . ونزل خبر انتقالى عليكم . فاجتمعوا لتشييعى . وقوموا بسنة توديعي ولكن أحـذركم أن تسمحوا لنادبة أو تسمعوا

(١) من الاحياء للغزالى ملخصا (٢) عن كتاب آداب الفتى

لصاخبة أو ترضوا لفاطمة أن تكون لاطمة أو تأذنوا لنائحة أو تنصتوا لصائحة أو تفتحوا بابا للمؤبنات هؤلاء اللاتي اشتهرن بالمعددات ثم اعلموا ان الحزن انما هو في القلوب لابلطم الخدود ولابشق الجيوب فأنهاكم أن تأتوا شيئا من هذه المعائب وأن تحملوا أوزاركم على ظهوركم بهذه المثالب *

فالنبي لما فجع بولده وفلذة كبده قال : « إن العين لتدمع ، وان القلب ليخشع وانا بك يا ابراهيم لمحزونون — إنا لله وإنا اليه راجعون . ولذلك لاتخرج وراء النعش قريبة ولاجارة ولاصاحبة ولا نسيبة ولا راكبات ولا راجلات ولا مبرقعات ولا سافرات ولا أختى ولا زوجتى ولا بنت أختي ولا بنتى وقد نهى عن ذلك سيد الكائنات بقوله : « ارجعن مأزورات غير مأجورات » وإياكم وخروج النساء الى القبر فذلك عيب لايستطاع عليه الصبر ، أما أنتم فاذا زرتم المقابر فليكن للعظة ولكم فى ذلك ذكرى وموعظة تنظرون الى الموتى في حضرتكم نظر الذى سيلحق بهم في ليلة زورتهم وتتفكرون فى من ضمت هذه المقابر من الاكابر والاصاغر ومن ملك ومملوك وأمير وصعلوك وكيف حل بهم الموت فجعلهم أجمع لاينتظرون غير عفو ربهم لاشيء مما اقتنوا ولاقصر مما بنوا ولامال ولابنين ولاأمل فى غير رب العالمين فيظهر لكم بأجلى برهان قدرة الواحد الديان وكيف اننا بعد الحياة ميتون وبعد الموت منتشرون *

وكذلك اجتنبوا السرف في النفقات والنقوش في الحجارة فذلك عمل لايفيد ساكن القبر وفي التباهي به وزر على وزر *

وبالجملة آمركم أن تكونوا عند حد الشرع الطاهر ولا تقربوا شيئاً من تلك المظاهر وأن تحاربوا تلك البدع بعدتكم وعدتكم وتجاهدوا لازالة تلك المنكرات بجميع قوتكم انطهروا بيت العلم من مثل هذا الاثم لانه اذا كانت بيوت العلماء ميداناً لهـذا البلاء وماتم الكبار تشتمل على مثل هذا العار فكيف يرجى لنا الصلاح أو تتعلق آمالنا في النجاح *

كنت في الحياة أظهر بأجمل رونق بثياب من سندس واستبرق وأنا الى البلى اليوم صائر فما معنى هذه المفاخر ، هل لتجانى الاشلاء كما يفعل الاحياء ، أم تخشون أن تحقرني أهل الدار الآخرة فتدثروني بحنوطكم الفاخرة وتزفوني بحفلاتكم الباهرة ، أم ليت شعرى ما الذى يدعوكم لركوب هذه الآفات واحتمال هذه النفقات *

ذلك لعمر الحق لاينفع وماتقدمونه لى من هذا المبتدع لايشفع فالله الذى وعد المتقين خيراً في الدار الآخرة يقول : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره »

فمن سلك سبيل الطاعات يحمد منه السرى فقد قال تعالى : « وأن ليس للانسان إلا ماسعى وان سعيه سوف يرى » ومن ضل عن الصراط السوى ولم يتبين له الرشد من الغي فبشره بالعذاب الاليم : « والذين

كذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم »

فياقوم كتابكم وعدكم بالثواب على الحسنات وأوعدكم بالعقاب على السيئات والله لايخلف الميعاد ولايمنع ما أراد فاعملوا بأوامره واجتنبوا نواهيه تكونوا من الفائزين ، قال الكاتب :

فهذه وصيتى بكتابي لجميع الذين يحضرونه : فمن بدله بعد ماسمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ، إه ملخصا *

الباب السادس : أدب السفر

١ - ﴿ أدب المسافر ﴾

أن يبتدىء برد المظالم وقضاء الديون واعداد النفقة لمن تلزمه نفقته ورد الودائع ان كانت عنده وأن يطيب زاده ويطعم منه وأن يأخذ مايوسع فيه على رفقائه وأن يطيب كلامه ويظهر مكارم الاخلاق ويحسن الى المكارى ويعين الرفقة بكل ممكن ويداعبهم ويطايبهم من غير فحش ومعصية ليكون ذلك شفاء لضجر السفر وأن يقصد من سفره زيادة علم أو أدب أو تبصرة من تجربة أو تعرف آياته تعالى (١)

٢ - ﴿ أدب الركوب فى القطار ﴾

إذا عزمت على السفر فتعرف مواعيد حركة القطار وعليك أن

(١) كما ستراه في كلمة السياحة

تذهب قبل الميعـــاد بنصف ساعة لاخذ بطاقة الركوب واحذر من النشالين في موقف بيع البطاقات وأن تبتعد عن الزحام بقدر الامكان وضع أمتعتك في مكان ركوبك بترتيب واجلس غير مزاحم لرفقائك وكن معهم في أدب وايثار ولاتسيء أحداً منهم وشاركهم في الحديث اذا رغبوا واذا وقف القطار فلاتسرع في النزول وانتظر تمام وقوفه ونزول المزاحمين وسلم أمتعتك للحمال بالعـدد وخذ عدده (نمرته) ثم اركب الى منزلك بسلام *

٣ - ﴿ كلمة فى السياحة ﴾

قال حكيم : السياحة تزيد فى سعة المدارك وتشرف بالانسان على أسرار العالم وعلى نواميس العمران والخراب في الامم وعلى أسباب المدنية والوحشية في الشعوب وتجعل للانسان فكرة عامة على معني الحياة الانسانية الصحيحة والنظر في الكون نتيجته توسيع نطاق سلطة العقل الانساني على الادراك والسريان في ضمائر الكون والوقوف بالتصور والفكر على المواقف التى هما جديران بها من هذا العالم البديع وتخويل القوة البشرية خاصية استخدام قوى الكائنات في تحسين الحياة الانسانية وتهذيبها بما يفتح للعقل من منغلق المساتير ومؤصد الاسرار وهذا كله كما لايخفى يعلو بالعقل والفكر ويسمو بهما درجات متوالية فيحصـــل مايسمونه الترقي في الهيئة الاجتماعية *

الباب السابع : آداب النفقات ومتفرقات

١ - ﴿ أداب النفقة المنزليـة ﴾

ان عماد هذه . أعنى النفقة المنزلية الاعتدال والقصـد بين التبذير والتقتير : يقول ناصح : وشرطه ان يكون الانفاق أقل من الدخل ولو زهيـداً جداً بحيث تجمع ثروة من الموفرات مع الزمان فان الـثروة المجموعة من الموفرات الزهيدة فائدتين عظيمتين : (أولاهما) انها تكون مالا احتياطيا يلجأ اليه عند مسيس الحاجة فى حالة مرض أو عجز أوعسر لوقوف العمل الى أن يأتي الفرج (وثانيهما) تكون قوة اضافية تثمر فى تجارة أو صناعة بحيث تكون ذات ريع لتنمو وتتكاثر من نفسهـا مع الزمان وما يتذرع به البعض لتثمير أموالهم من طريق الربا فانه ذريعة المقت الالهي والعذاب الابدي

ولعلك تقول ما سر تحريم الربا في جميع الاديان السماوية ولعن فاعله في الكتب الالهية فتجاب بان ذلك لا يخفى على نبيـه وهل يلفى محرم الا وآثار فساده جلية، هذا الربا انما حرم لنتائجه الهادمة لبنى الانسان فان فيه اضرار المحتاج وتعريضه للفقر الدائم والدين اللازم الذي لا ينفك عنه وتولد ذلك وزيادته تجتاحه فتسلبه متاعه وأثاثه كما هو الواقع في الواقع فالربا أخو القمار الذى يجعل المقمور حزينا محسوراً فمن تمام حكمة الشريعة

المنتظمة اصلاح العباد تحريمه وتحريم الذرائع الموصلة اليه .

٢ - ﴿ النفقة على البؤساء ﴾

ان من أعظم الآداب التي يجب رعايتها « الزكاة » التى أوجبتها الشرائع وفرضتها على كل متمول موسر وذلك لما فيها من الفوائد الجمة التى منها سد حاجة المعدوم ورفع أحقاد أهل الفاقة على من فضلوا عليهم في الرزق واشعار قلوب الاغنياء محبة الفقراء وسوق الرحمة من أولئك على هؤلاء فتستقر بذلك الطمأنينة في نفوس الناس ولادواء لامراض الاجتماع أنجع من هذا كما قال حكيم امام .

فاذا كانت الزكاة بهذه المثابة وجب رعايتها وحفظها بآدابها فمن أهم تلك الآداب تأديتها بأوقاتها للبائس الفقير ومواساته بها بدون تمهل وأن يكون ذلك بصورة سرية خفية بدون أن يشعر بها أحد .

وهناك حق آخر أودع فى أموال الاغنياء عدا الزكاة وهو ايتاء المال حيث تعرض الحاجة الى بذله في غير وقت أداء الزكاة *

٣ - ﴿ النفقة على العلم والتربية ﴾

ما أجدر الاغنياء بانفاق أموالهم على معاهد العلم والتربية وما أحق الموسرين بعد أن يسدوا عوز الفقراء المدقعين — أن يحيوا ملكاتهم العقلية والفكرية وأن يملأوا أدمغتهم من العلوم العصرية التى عليها مدار رقيّ الامم *

لايجهل من له أدنى مسكة من العقل ان أهم أسباب ذلك الارتقاء هو إنشاء المدارس وتشييد (الكليات) وذلك لايتأتى إلا بالتعاون والتعاضد وبذل المتمولين من الناس الدنانير في هذا السبيل سبيل العلم والتربية * ومن وقف على سيرة السلف الصالح يرى انهم مهدوا لنا تلك السبل قولا وفعلا ، كما وجد في هذا العصر كثيرون من أرباب هذه النهضة (١)

ولقد عثرنا على خطاب بليغ لاحد الاساتذة المشاهير افتتح به بافتتاح مدرسة أنشأتها احدى الجمعيات الخيرية قال ماملخصه :

لانريد أن نخاطب الموسرين الذين أغوتهم شرّة الغنى وأسكرتهم خمرة الشباب فقذفوا بأموالهم في هوة الضياع وصرفوا الطارف والتليد فيما يضر ولايفيد ﴿ فأولئك كالانعام بل هم أضل ﴾ . وانما نقصد العقلاء من الاغنياء فنقول : اذا كنتم تقصدون لتوفروا من مالكم ماتتركون

---

(١) تلهج الجرائد الاوربية كثيراً في أمر النفقات الطائلة التي يؤديها الاغنياء الاميركيون مساعدة لاندية العلم والمدارس الكلية والمكاتب العامة . من ذلك أن كلية برلستون تلقت هبات كثيرة منها قطعة ارض مساحتها (١٤٠) هكتاراً . وهبة أخرى ذات دخل سنوى يبلغ (٥٠٠) الف فرنك ، وخصت في وصية بمبلغ قدره مليون ونصف من الفرنكات ومن ذلك ان جامعة مدينة يال أهديت اليها ارض قيمتها مليونان ونصف من الفرنكات . ووهبت كلية فرجينيا خمسة ملايين من الفرنكات منحتها اياها اميركية . وقالت في هبتها انها تريد ان ينفق ثمنها على شراء كتب لتلك المدرسة ، فلا نعجب بعد هذا لارتقاء العلم عندهم هذه هي الاعمال الخيرية الجارية عندهم مجرى السيول قد كان يحاكيها في الشرق اشادة المدارس التي لم تزل رسومها شاخصة ، وقد وقف لها من الاماكن التي لو بقيت دارة ولم تتلاعب بها ايدى اعداء التقوى والعلم لاحيت ملايين وسمت بهم الى مكان مكين .

لاولادكم حتى لايكونوا فقراء تعساء فقد سعيتم في طريق محمود مهده الاسلام ودعا اليه النبي عليه الصلاة والسلام . وان ماتصرفون في سبيل العلم والتربية هو من هذا القبيل أيضاً لانه توفير اسعادة الابناء . بل لاسعادة بالمال إن لم تصحبه تربية نافعة وعلم صحيح يهتدى بهما المتمول الى كيفية الانتفـاع بل لايكون الانسان سعيداً الا اذا كان عائشاً مع مهذبين سـعداء . هب انك تركت لولدك ماينبغي من الثروة وهو في موطن خيمت عليه الجهالة واستحوذت عليه الضلالة أتراه يعيش سعيداً بين الاشقياء ويحيي غنياً بين الفقراء ولاتمتد اليه يد الغواية وتغلب عليه طبائع السفهاء وتستهويه شياطين الاهواء . كلا ان المرء بقرينه ورجل الخير بين أبناء الشرور على خطر . فمن أنفق من ماله على العلم والتربية فهو الذى يوطي لذريته أكناف السعادة ويوطد لهم دعائم العيشة الراضية لانه يصلح لهم مباءة يعيشون في ظلالها آمنين اه

٤ - ﴿ حب الوطـن ﴾

عد الحكماء من أمهات الفضائل فضيلة حب الوطن والمراد بها أن يبذل المرء مايقدر عليه مما أعطاه الله من العلم والمال والخبرة والنصح في عامة الاحوال والازمان لمنفعة وطنه ومواطنيه فيستقيم في وظيفته وينصح في تجارته ولايغش في حرفته ويبذل جهده في تحسين حالته ولو بالسفر الى الممالك البعيدة لتحصيل علم يفيد به قومه أو صنعة ينتفع بها في وطنه أو تجـارة يجلب منها لبلاده ماتمس اليه الحاجة ونحو ذلك من

المقاصد الصحيحة فليس محب الاوطان من لا يخرج عن الحيطان والقاعد فيه قعود العجائز وملازمه ملازمة العاجز *

ومما يجب في حب الوطن أن يدافع العدو الذى يحاول اغتصابه واحتلاله وان يجاهد دونه بالاموال والانفس احتفاظا بما لاهله في وطنهم من إقامة شعائر دينهم وتقلبهم في أملاكهم وصون حريمهم وتصرفهم فى معايشهم والقيام على تربية أولادهم وذريتهم الذي يحاول العدو أن يحول بين هذه الامور وبين أربابها فيقضي على شرف دينهم وينهب أموالهم ومقتنياتهم ويهتك حرمهم ويمحو تاريخ مجدهم ويفني لغتهم وعلومهم في رطانته وعوائده . كل هذا مما ينويه العدو الغاصب للوطن تلقاء أهله ولذا وجب الجهاد دونه لوجه الله وفي سبيله وبهذه المناسبة نأثر ما قاله بعض الفضلاء [١] من أن كلمة الجهاد أضحت ولها معنيان . معنى شرعي ومعنى اوربي قال : أما معنى الجهاد الشرعي فهو بذل الجهد والطاقة فى مدافعة العدو عن البلاد كما يبذل أبناء وطن جهدهم في الدفاع عن وطنهم فاذا نادينا بالجهاد في المسلمين كان المراد استنفارهم للدفاع عن وطنهم وعن أبناء وطنهم من أي ملة كانوا وليس معناه حض المسلمين على مقاتلة غيرهم ممن لم يكن على دينهم ولو كان من أبناء وطنهم المكافين معهم في الدفاع عنه * وأما معنى الجهاد الذي دعوناه أوربيا فهو أن أهل أوربا وبعض المواطنين من أهل الكتاب يفهمون من اطلاق كلمة (الجهاد) انه عبارة عن تهييج عامة

(١) الاستاذ المغربي في جريدة البرهان عدد ١٢٦

المسلمين على المخالفين لهم في الدين أيا كانوا وحضهم على الهجوم عليهم من كل صوب واعمال السيف فيهم وهو معنى يبرأ المسلمون ودينهم الطاهر الى الله منه فان الجهاد في هذا المعنى من صنيع من لا يقيم للدين وزنا ولا يفهم للاجتماع الانسانى معنى وهو مناف لتعاليم الاسلام وأوامر القرآن الكريم في مثل قوله تعالى : ﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ﴾ فليفقه هذا من يظن ان الاسلام يحض على مقاومة سائر من لم يكن على دينه من متعصبة الافرنج اذ ليس بعد مثل هذه الآية الكريمة موضع للريب والاشتباه في طهارة الاسلام وبراءته مما يصمونه به وليس (الجهاد) بمعناه الشرعي القرآنى غريبا عن أصول مدنية أوربا التي تربى ابناءها على حب الوطن والدفاع عنه الى حد الاستماتة في سبيله فكيف تكون استماتة الغربيين في الدفاع عن وطنهم كرامة وشرفا وفخرا لهم وتكون استماتتنا معشر المسلمين في الدفاع عن وطننا همجية وتوحشا وعاراً علينا ؟ أذلك لاننا نسمي هذه الاستماتة جهاداً وهي كلمة عربية فصيحة مؤداها بذل الجهد والطاقة في الدفاع عن الوطن وما يتبعه مما فسرناه به *

٥ – ﴿ أدب النائب في مجلس المبعوثين عن الوطن ﴾

تعرف الرجال من أقوالهم وأفعالهم واحسانهم واستعدادهم وتفانيهم في عمل النافع وحب الانسانية وعضد المشروعات الخيرية

فالنائب لا يطلب بين خزائن النقود حيث يكون محجوباً ولا من وراء سجوف النعمة ورغد العيش حيث يتوارى عن عينك فان من ترفع عنك لا يهبط اليك ومن ابتعد عنك لا يتبعك اذا مشيت الى خير ولا يمتزج بين أفرادك في ضيقك ولا يقودك في حاجتك إلى الهداية فهذا ليس هو انما نائب الوطن من كان له في سرّائه وضرّائه ومن يضحي نفعه لينفعه ومن يضع نفسه ليرفعه ومن يرصد معارفه وقوته وأوقاته له *

النائب مشرع للقوانين أول ما تجب عليه معرفته أن يحسن علم الحقوق ويعرف حركة المجالس النيابية عند الامم الراقية ويحسن تاريخ أمته واجتماعها ويعرف ما يدليها ويرفعها ويدرك علائق حكومتنا بحكومات اوربا وما تم بيننا وبينها من المعاهدات وما نالوه منا من الامتيازات ويكون قادراً على الاستخراج من كتب السياسة والادارة والقضاء باحدى اللغات الاجنبية *

فاذا توسم الشعب جميع هذا في شخص جمع بين العلم وعلو الهمة وحسن الادارة والتنزه عن التحزب والاغراض . فعليه أن يلتمس رآسته ولو كان الكوخ مسكنه أو كانت الدسكرة موطنه فان هذا من تطالبه الوظيفة وان كان هو لا يطلبها *

ومن لم تكن له هذه الصفات فليس هو ولو أعجبتك وعوده وأقواله لانه ليس كل من قال تتحقق فيه الآمال *

وقال بعض الفضلاء : أن وظيفة النائب الذي يصبح بنواله النيابة

حائزاً على الوكالة المطلقة عن الشعب ويغدو ذا حق واسع فى المراقبة التشريعية والمالية وذا سلطة كبيرة بالهيمنة على مصالح الامة وصونها وبنقد أعمال ذوي الوظائف الخطيرة لايكفيها (أى وظيفته) حب الوطن أو الوجاهة فى القوم أو الثراء أو الجراءة بل تستلزم اطلاعاً واسعاً ووقوفا تاما وفكراً ثاقبا وعقلا مثقفا ولا تقاس بالوظائف التى دونها فان النائب ليس قد قلد مقاليد الالوف التى انتخبته وكل شؤون الاقليم الذى انابه لابل مقاليد الملايين التى تقطن في جميع ارجاء الوطن الواسع ليتصرف بها تصرفا اجتهاديا واستقلاليا من حيث سن الشرائع الجديدة وتشذيب الموجود منها بما يلائم الحاجيات العصرية والعنصرية ومن حيث تنظيم القوة التى يرتكز عليها شرف الامة السامى تنظيما يحفظ الحوزة وينفي عن الوطن التسلط والتحكم الاجنبى ومن حيث التشبث بالامور الاقتصادية والنافعة التي هى مبدأ سعادةالشعوب فى كل حين وآن

وعلى هذا يجب أن يكون النائب : (أولا) متضلعا بالقوانين القضائية والادارية والجزائية الموضوعة تضلعا واسعا يستطيع أن ينقد به حسنها من منقودها ويكون عارفا بمواضع خللها ونقصها وصعبها وسهلها ليتمكن من تعديل مايجب تعديله وتشذيب مايلزم تشذيبه ورد مايكون محظورا وقبول مايكون مصيبا ليكون كل منها قريب المأخذ سهل التطبيق فتحصل الفائدة المطلوبة من كلمة النظام *

(ثانيا) ان يكون مطلعا على قوانين الامم الراقية التي سارت عليها

فوصلت الى غايتها ومأمنها من الخير والمكانة لكى يقدر أن يقيسها مع حاجاتنا فينقل أو يقلد منها مايراه موافقا*

(ثالثا) ان يكون دارسا نظريات أرباب الحقوق والادارة واقفا على آرائهم ومطالعاتهم ليكون بعيد مرامي النظر فيما يرتئيه لايقترح امراً ولا يعزم على تنقيح أو إدخال شيء الا وهو مدعم بثاقب الفكر مبنى على أساس متين وركن ركين *

(رابعا) أن يكون آخذا بقسط وافر من الفنون الاقتصادية نظريا وتطبيقيا واقفا على أسباب النهضات الاقتصادية في البلاد الراقية واقفا على دواعى الانحطاط الاقتصادى في بلادنا ليستطيع على التفكر في احيائها بعد موتها ويتشبث فى المشاريع العمومية وخصوصا ليتمكن من اتخاذ التدبيرات المحتمة التى ترقى الزراعه في أقاليمنا *

(خامسا) أن يكون دارسا علم حقوق الدول العمومية والخصوصية مطلعا على المعاهدات والعقود الدولية واقفا على تواريخ الامم السياسية من حيث أطوارها التى تطورت بها حتى وصلت الى ماعليه الآن لاجل ان يكون ذابصيرة فى الحقوق المتقابلة والمناسبات الموجودة بين كل من دولتنا والدول الاخرى وبين كل دولة واخرى *

(سادسا) ان يكون متتبعا سير الحوادث الكونية من سياسات ونهضات واكتشافات وما يطرأ من الطوارىء والاحوال وذلك بمطالعته الصحف والمجلات لئلا يكون غافلا عما يجرى في المجتمع العام وجاهلا

بشؤونه المتحوله وتطوراته المستجدة*

(سابعا) أن يكون دارسا حق الدرس فن تقويم البلدان (الجغرافيا) الطبيعى والسياسى والاقتصادى ليكون ذاخبرة بمواقعها ومواهبها وقابليتها واحتياجاتها *

(ثامنا) أن يكون واقفا تمام الوقوف على احتياجات الوطن من الشرائع والمنافع وعلى اخلاق الشعب من حيث نزعاته وميوله . وعلى ما تقتضيه مشارب وأمزجة كل أقليم على حدته وعلى الاخص ما يأمن حقوق العناصر المختلفة المجتمعة تحت لواء واحد لتعيش مع بعضها بكل صفاء وتضامن وتظهر أمام عدوها الخارجى بكل قوة وارتباط *

(تاسعا) أن يكون ذاحزم فى فطرته وعزم في همته ودماثة في أخلاقه ورصانة في أفكاره ومثابرة في تشبثاته لا بالاهوج ولا بالارعن وأن يكون قوى الحجة قوى العارضة قوى الجنان قادرا على الخطابة في ذلك المحفل العظيم بجراءة واسترسال ليستطيع أن يؤيد اجتهاداته ويدعم اقتراحاته ومطالباته التى يتشبث بها سعيا وراء سعادة موكليه في حياتهم الاجتماعية *

هذا أهم صفات النائب العلمية والاخلاقيه التى تؤهله لان يهيمن علي حقوق الوطن . ويجاهدفي سبيل سعادته إ هـ ماكتبه بعض علماء الاجتماع في هذا *

٦ – ﴿ أدب إعارة الكتب واستعارتها ﴾

الكتب موضوعها وثمرتها أن تتبادل وتتــداول ليعم النفع بها وتجتني فوائدها فيلزم اعارتها واجتناب الضن بها ومن ضن بها فقــد اجترم اثما كبيراً وكان كمن كتم علماً « ومن كتم علماً ألجمه الله بلجام من نار » ولكن على المعير والمستعير آداب يتحتم مراعاتها فيلزم المعير ضرب مدة لمراجعته وتخير أهل المروءة والكمال للاعارة بدقيق التفرس . وعلى المستعير رده في الميعاد المضروب وحفظه من الابتذال وصونه مما يعرضه للاتساخ والامتهان ووضعه بعد المطالعة في الخزانة وابعــاد المحبرة عن ورقه والشكر لمعيره والتبرع بتجليده إذا كان يسمح صاحبه ويرضى به والسعي بطبعه إذا كان مما يعم النفع به *

ولما كان الاكثر لا يراعى هذه الآداب ضن الناس بما لديهم (والحق لهم) ولذا كان من الحسنات الجلية اقامة مكتبات عامة وارصاد الموقوفات فيها صوناً لها من تلاعب من لاذمة لهم ولا دين من مستعيريها الخائنين *

٧ – ﴿ المكتبــات ﴾

اشادة المكتبات وفتح أبوابها للقاصدين حسنة كبرى وباب سعادة عظمى لمن يدخل منه وبمقدار الاقبال عليها تكون الحياة في الامم ولكن من المحزن الغريب أن ليس لنا من هذا نصيب *

كان ينبغي أن يسأم منا موظفو المكتبات لكثرة ترددنا وكثرة ما نطلبه من الكتب وكان ينبغي أن ننتظر الفرص بكل تشوف وننتهزها لزيارة المكتبات وما هي الا الجنات لو كانوا يعلمون . ولكن بلغ بنا القصور أننا لا نقصدها بل ولا يخطر ببالنا أن نقصدها يوما من الايام للاستفادة بما فيها من غرائب الكتب ونفائس العلم وقد تركها الاولون لنا ميراثا يورث سعادة الابد وكم بحث باحثون عن مثلها فأصبحوا أئمة العلم وأرباب الحكمة والفهم فما علينا الا البحث والتنقيب واحراز أوفر نصيب (١)

٨ - ﴿ انتخاب الكتب للمطالعة ﴾

انتقاء الكتب كانتقاء الاصحاب فعليك أن تنتخب منها أعظم ما ترتاح اليه النفس وأن تكون مطالعتها لتقويم الفكر لا لاضياع الزمن وأن تنقب عن أحاسن المؤلفات سيما المؤلفات الحديثة فان في كثير منها تحقيقا وتسهيلا واستدراكا وتكميلا يرقى الى ذروة وعالية ، وليحترز من قراءة كتب المجون ودفاتر المضاحك وسفين نوادر الهذيان فانها مفسدة للاخلاق مميتة للوقت الثمين مخرجة لناقلها من زمرة الحكماء مسجلة عليه بكمال السخافة أو عده مسخرة من المساخر وحلى أن ساعات المطالعة أسعد أوقات الحياة وما يطلب من السرور في غيرها هو ظل ما يستخلص من لذيذ مسراتها ولا ينبغي لمن كبر سنهم ان

---

(١) عن العلم والعلماء

يقتصروا على الاشغال اليـدوية ويضيعوا كل أوقاتهم فيهـا بل عليهم تخصيص أوقات للمطالعة والاشغال العقلية لانماء مداركهم ونفع الناس بمعلوماتهم . يقول حكيم لو خيرت فى أن أكون أكبر ملك في الارض ولى جميل القصور والبساتين ولذيذ المآكل والمشارب وثمين العجلات وفاخر الثياب ومئات الخدم واشترط في ذلك ان لا يكون عندي كتاب لرفضت ذلك الملك بغير مطالعة وقبلت أن أكون فقيراً فى كوخ ومعى كثير من الكتب *

٩ — ﴿ كلمة فى التاريـخ ﴾

ان من أهم ما تجب العناية بمطالعته تاريخ السلف الصالح وما أتوا من جليل الاعمال فان للتاريخ تأثيراً غريبا في الاخلاق والوجدانات النفسية والميول الشريفة واعداد النفس للحياة الاجتماعية وتعلم سير النظام الكونى في سنته من ارتباط الاسباب بالمسببات والنتائج بالمقـدمات فيتخذ الماضى مثالا للحاضر ويتبصر فيما كان يتخذه الاقدمون من الاسباب لارتقائهم وفيما يهبط بالامم من ذرى رقيهم . يقول حكيم : بقراءة فن التاريخ يرى الانسان كيف كانت أسلافه تريق من دمائها في الدفاع عن بيضة وطنها . وكيف كانت تفعل أفاضل الرجال في تأييـد جامعتها وتأسيس ممالكها *

ما ذا يفيدك مثل السيرة النبوية وتاريخ الخلفاء من بعده اذا قرأته

بتمعن وتفكر أليس يمثل لك الخطوات التى كانوا يسلكونها أمامهم من المصاعب الجمة انك لتجد بينها الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ولين القلب والجانب كما انك تجد في مقدمتها الصبر وصدق العزيمة وجدير بمن عرف مقدار ما تكبد السلف في تأسيس آثارهم الشاخصة من المصاعب ومقدار ما منحوا من عزيز الانفس لدى أعتاب أسوارها — أن لا تكون له يد عاملة في نقضها أو روح لا تتفاني فى حمايتها وصونها *

١٠ - ﴿ أداب التجارة ﴾

للتجارة آداب تجب مراعاتها وذلك لاستجلاب قلوب الناس وبث المحبة في ضمائرها فان قوام المصالح بالمحبة ودرء الاحن مهما أمكن . ومتى تولدت الشحناء والبغضاء في قوم وقفت حركتهم وساد السكون على مصالحهم ونشأت مفاسد أخرى .

لهذا وجب التمسك بآدابها ومن الآداب المهمة بالاجمال العدل في معاملة الناس بأن يجتنب مضرتهم ويحب لهم ما يحب لنفسه فكل ما يعامل به ويشق عليه ينبغى ان لا يعامل غيره به فعليه اذن أن لا يثني على السلعة (البضائع المتجر بها) بما ليس فيها وان لا يكتم من عيبها شيئاً أصلا وان لا يكتم من وزنها ومقدارها شيئاً لان ذلك كذب وتلبيس وظلم وخيانة ودناءة وإسقاط مروءة وا كل لاموال الناس بالباطل . وعليه ان يحسن في المعاملة ويتساهل فيها وان يتقاضى دينه برفق وان يحط منه

افقير وأن يقيل من يستقيله — (اى يرضى برد بضاعته عليه اذا لم يرضها المشترى) .

ومن وصية حكيم لابن له تاجر : يابنى اذا انتبهت من نومك وعملت بما أمرتك به العلماء وصليت الواجب عليك ومضيت متوجهاً الى دكانك اطلب المعاش وفتحت الدكان فسم الله تعالى فاذا انتصبت في مكانك فاخرج الميزان وامسح كفتيها مما علاها من الوسخ وحررها ليكون صحيحاً وامسح الصنجات واعتبرها رأس كل شهر وان كان كل اسبوع كان أصلح فاذا جاءك انسان فاكرمه على حسب مقداره بل أزيد واكظم غيظك وغض بصرك عن جارك واقنع في كسبك واقتصد في نفقتك وبادر بالصدقة وشرف نفسك عن الاندلاق على الزبون فانه يستنذلك(١) واتكل على الله فما كان لك سيصلك ولا تتهاون فى طلب الرزق، ولا تكثر منه فان الاهمال يوجب الفقر والاكثار يوجب الذلة والتعب ولا تخرج من بيتك الا وأهل بيتك راضون عنك داعون لك ولا تعاد أحداً من خلق الله تعالى وان اتفق بغير اختيارك معاداة أحد فتلافاه ودار بمالك عن عرضك وأنت تعلم وسالم الايام والناس تسلم، ولا تمدن عينيك الى النساء وان نظرت فلا تفكر ولا تضحك في وجوههن فيطمعن ويتوهمن امراً آخر وأنت بريء منه وخالط الاخيار تدعى خيراً وتكتسب من حركاتهم ولا تعاشر الاشرار فتتعلم منهم كما قيل

(١) الاندلاق الاندفاع كما في القاموس. والزبون مساوم السلعة فى عرف العامة وقوله يستنذلك اى يعدك نذلا . والنذل الخسيس والمحتقر كما في القاموس .

وقارن اذا قارنت حراً فانما * يزين ويزرى بالفتى قرناؤه

واجعل القرناء غلمانك بالعطاء وأصدقاءك بالهدية وأقاربك بالتودد ولا تكثر الكلام فى البيع والشراء وزن كلامك قبل أن يخرج من فيك وافتقد الاوعية والدكان في كل شهر مرة أو مرتين ان قدرت فان افتقاد التاجر دكانه كمطالعة العالم كتابه فكما ان المطالعة تذكر الانسان بما سهى عنه كذلك الافتقاد يظهر للانسان حاجة كانت غائبة عنه أو فساد شيء فيصلحه *

واهم مايوصى به التاجر ويؤكد عليه به هو اجتناب الغش ويكفي في كونه معصية كبيرة حديث: «من غشنا فليس منا» وأما أضراره ونتائجه السيئة فلا تحصى *

جاء في الدروس الحكمية مانصه (١) ان الغش الذميم مرض ينهك قوى المجتمعات ويذهب بحياة الشعوب وذلك أن من غش ببخس الوزن أو تغيير الصنف بادنى منه او دفع الثمن نقودا زائفة فقد تعمد تنقيص العوض المستحق قبله ومن تعمد ذلك فهو ظالم غاش بل سارق محتال وربما كان أضل وأشقى فان مرتكب جناية السرقة قد يدفعه فقر وحاجة وذاك مرتكب جناية لم يدفعه اليها سوى طمع النفس وحبها للظلم فكان أظلم وأحق بالملامة والذم وعمله هادم لاعظم ركن من اركان الاجتماع المدنى وهو الثقة التى يتوقف عليها نظام سير المعاملات

(١) لصديقنا الفاضل رفيق بك العظم

الدنيوية وبفقدها وقوف دولاب التجارة فتبور الصنائع وتقل المكاسب فيحتال الناس على أسباب المعيشة ويتهالكون على تحصيل القوت من غير طرقه الشرعية فتفسد أخلاق الامة وتنحط لقلة العمل مداركها وينتهي ذلك بضعف قوتها وتفريق مجتمعها فالمقدم على الغش يضر بأبناء جنسه بما شرحنا وبنفسه أيضا لما أن ثروة الفرد في كل مجتمع انما ترتبط بثروة الباقين فمتي قلت الثروة عند المجموع فانها تقل طبعاً عند الفرد وأحسن دواء له محاسبة المرء نفسه في معاملتهمع الناس ومراقبته لله تعالى في ذلك بحيث يكون له من نفسه داع يدعوه الى تقوى الله ومعاملة خلقه بالعدل ❋

١١ - ﴿ أدب الزراعة ﴾

لا أحد يجهل ما للزراعة من المنافع لابناء النوع الانساني وذلك باستحصال ما أودع فى كبد الغبراء من الاسرار الطبيعية التى أوجدها مدبر الكائنات ليعم النفع بها وتتبادلها الافراد وتقوم المصالح وتسير الامم سيراً حسنا بما تسلكه من سبيل الجد والاجتهاد ❋

ما رقت الزراعة في أمة الا ورتعت فى ظل ظليل من العيش وتوكأت على أرائك السعادة وأصبحت في أمان واطمئنان من العوارض فلا تتنابها أيدى الضنك والضيق اللهم الا ما جرى بالسنة الكونية . كيف لا ولا ترى حاجة من الحاجيات الجسمية من مأكل وملبس الا ولها علاقة بالزراعة بل لاحياة لهذا المجتمع ولا قوام له إلا بما يهدى اليه نور العقل

لاستخراج مكنونات هذه الطبيعة *

انظر الى هذه المنسوجات من صوف وحرير وقطن وغير ذلك ثم ابحث عن منشئها بدقة وامعان ألست تراها من محصول الارض التى استنتجتها الزراعة واستخرجتها لنا ، اليست تلك الفوائد والاسرار من الزراعة بواسطة صرف العقل فيما خلق له *

اذن اذا رقت الزراعة ونمت وأنت من كل زوج بهيج رقينا ونمت أمتنا واذا كانت بهذه المثابة فما السبب الذى يصلح أحوالها *

لا مشاحة في أنه اذا درسنا فنونها وسلكنا سبيل قوانينها ونظاماتها علمياً ثم رجعنا لانفسنا وطبقنا العلم على العمل — والزراعة علم عملى — نجحنا في أمورنا وسمونا كما سمت جاراتنا من الامم التى فازت بالقدح المعلى في سائر أنواع الزراعة *

نعم ان بين ظهرانينا تلك القوانين والعلوم والفنون ولكن أمامنا عقبات حالت دون أن نلم بمجموعها ونفوز منها بالمقصود وذلك لاسباب شتى أهمها : جهل بعض أناس اتخذوا هذه الكلمة « القديم على قدمه » دستورا لاحوالهم الاجتماعية وقاعدة في جميع خصوصياتهم وطرحوا ما يدعو اليه هذا العصر من النظر في العلوم والفنون لتدبير شئونهم وعودوا على ما توارثوه من كيفية الحراثة والفلاحة ومعرفة التراب والاشجار وما يتعلق بها في حين أن الزراعة اليوم بلغت من الرقي مبلغا عظيما *

أما ومن عنى بدرس الزراعة وطبق العلم على العمل ، فاستجلب الادوات المهمة فقد يؤمل من وراء سعيه هذا أن يربح ربحا وفيراً وأصبح رجلا خبيراً ذا معرفة بأراضيه مما نتج له فوائد متعددة *

خذ لك مثالا سهل التناول وهو أن الارض الذى تستحصل مرة واحدة في السنة يمكن لك بواسطة ما قدمنا أن تستثمرها ثانية وتجني أثمارها الشهية التى ما كانت تخطر لك على بال *

واليك مثالا آخر ربما توجد أرض مهملة متروكة سنين وأعواما يظنها من ليس له اطلاع على فنون الزراعة انها عقيمة لا تثمر أبدا في حين انه اذا كان له أدنى خبرة باصلاح الارض يمكن ان يجعلها قابلة للفلاحة والحراثة في أقرب وقت *

وقد تعرض لبعض النباتات والاشجار عوارض من الامراض جراثيم تعلق وتثبت في غضون تلك الغصون يخالها من قصر نظره وعول على الوراثة انها ستتلف ولا تتلافى ويدعها على طبيعتها حتى تستحكم فيها الامراض . وآنئذ تتلف حقيقة فلو أنه اعتنى بدرس طبائع النباتات فاتخذ لها من الاسباب ما يحفظها لهلكت تلك الجراثيم قبل ان تتأصل ودرثت الامراض قبل ان تتمكن . وقس على ذلك بقية الامور الزراعية التى متى روعيت آدابها بدرس فنونها — نمت وثبتت وغدا أصلها ثابت وفرعها في السماء فعلى من يشتغل بالزراعة والذي ليس له المام ان يستدعى رجلا مخرجا من احدى المدارس الزراعية المهمة ويعمل بما

يشير اليه لتكثر المحصولات وتنتشر بين العالم * وتزداد حسن الفوائد والعوائد وبالله التوفيق .

١٢ - ﴿ أدب الصناعة ﴾

يقول بعض النصحاء : ان صناعتنا في الوقت الحاضرة لا يعوزها الا ان تمت بصلة الى النهضة العامة الحاضرة وتخضع لنواميس التجربة ومصادمة الحوادث وجها لوجه فان تأثرها بها خسارة وربحا وانحطاطاً ورقيا أقرب الطرق لوصولها الى النجاح المنشود من سد حاجة البلد وحل مسألتها نهائيا لذلك أرى من الصواب وضع البذرة الاولى ارقى الصناعة الوطنية بتنبيه الجمهور الى ما في الصناعة الوطنية الموجودة الآن من جمال خاص بها واتقان لا سبيل لانكار درجته العالية من الاعتبار. كما أرى أن الكتابة على صفحات الجرائد في هذا الباب لا تكفي وحدها للوصول الى الغرض المطلوب من حماية صناعتنا أولا وتشجيع صانعيها ثانيا بل أرى اولى من ذلك ان تكون النهضة فعلية وذلك لا يتم الا بتوجيه نظر الاصدقاء وأصدقاء الاصدقاء الى وجوب دعوة الجمهور بطريق المجالس العامة والخاصة والمؤتمرات الى ذلك الواجب الوطني الكبير واجب تعضيد الصناعة الوطنية بقصر الشراء عليها فيما تقوم به أنواعها الموجودة الآن من حاجاتنا الضرورية والكمالية *

ان تأخر صناعتنا عن مساواة الصناعة الاجنبية راجع باللوم علينا (أولا) لاهمالنا اياها كل الاهمال (وثانيا) لتفضيلنا في كثير من الاحيان

مالا يفضلها في الجودة والجمال الفني من المصنوعات الاجنبية عليها لمجرد أنها اجنبية (ثالثا) لان البيوت المشتغلة الآن بالصناعة الوطنية لايمكن اعتبارها بيوتا كبيرة ترهق السوق بكثرة محصولها فانها صغيرة جداً ومصنوعاتها لاتكاد تظهر من بين اكداس البضائع الاجنبية الا كما تظهر حبة الرمل في تل عال (رابعا) لان مصنوعاتنا رخيصة لعلو درجتها في الاتقان وقلة ثمنها بالنسبة للبضائع الاجنبية فمن السهل احتمالها بما لايرهق السوق ولا جيب المشترى كما تم بتوجيه نظر الصناع أنفسهم الى أنه من العبث جمودهم على ماورثوا من أسرار صناعتهم عن الآباء والجدود في الوقت الذى يتقدم فيه كل شيء بقدم ثابتة في سبيل الرقى فان ذلك لايؤول الا بالقضاء الاخير على مصنوعاتنا فمن الواجب عليهم اذن أن يبحثوا عن أسباب الرقى وادخال التحسينات بعد عمل التجارب المنتجة ٭

ومن رأي ناصح آخر ان الصناعة في البلاد الشرقية تحتاج لترقيتها الى امور (أولا) حماية الصناعة الوطنية ماامكن الحماية من مزاحمة الصناعات الاجنبية (ثانيا) ترغيب الشركات الغنية بالعلم والمال في تعدين المعادن وأنشاء المزارع الواسعة لانبات القطن والكتان وغير ذلك من حاجات الصناعة (ثالثا) ان يكون كبار الحكام قدوة في استعمال المصنوعات الوطنية للباس وفرش المنازل فيقتدى بهم الاهالى وتروج اذ ذاك الصناعة الوطنية ويرغب بها الصناع واذاوجدانمكاسبهمتوفرت

تفننوا فى اتقانها وتحسينها وترقيتها . (رابعاً) ان تهتم الحكومة وبلديات المدن الكبرى بانتقاء أفراد قلائل ينتخبون ممن امتازوا بالذكاء والثبات والميل الطبيعي الى احد الصناعات فيرسل هؤلاء المنتخبون الى أشهر مدارس الصناعة في اوربا حتى اذا احرزوا نصيبا وافرا عادوا الى البلاد وتولوا هم تدريب الشعب سواء فى مدارس صناعية تنشئها الحكومة او الشعب أو فى معامل يشيدها شركات من الاغنياء الموسرين ! ه

١٣ - ﴿ أدب المسجد ﴾

على داخله أن يلزم نفسه ذكر الله تعالى وتسبيحه واقامة شعائر دينه ويجتنب فيه اللغو بالباطل والسجود على عتبة ضريح فيه والطواف حوله وتقبيل حيطانه أو عمده أو مقاصيره (١) لانه لا طواف الا حول الكعبة ولا ملتمس الا ركنها ولا مقبل الا حجرها الاسود الكريم وعليه ايضا اذا رأى حلقة علم ان يجلس اليها واذا دخله للصلاة فليجلس في صفوف المتعبدين ويستنزل بتذلله رحمة ارحم الراحمين . وينبغي صونه عن وسخ ومخاط وتقليم اظفار وقص شارب وحلق رأس وعن رائحة كريهة من بصل وثوم ولا يقربه آكل ذلك وكذا متناول كل مايؤذى ريحه حتى يذهب منه . ويحظر فيه البيع والشراء والتكسب فيه بصنعة كخياطة

---

(١) ذكر حجة الاسلام عليه الرحمة والرضوان في آخر كتاب الحج قبيل كتاب آداب تلاوة القرآن من أحيائه ان المس والتقبيل للمشاهدة عادة النصاري واليهود . وذكر فى آداب زيارة المدينة كما قدمناه انه ليس من السنة ان يمس جدار الحجرة ولا ان يقبله اه فاجدر بغيره ❊

وغيرها واتخاذه مكاناً للمعائش ويصان من صغير لا يميز ومجنون ولغط وخصومة ويمنع فيه اختلاط الرجل بالنساء وزخرفته بما يلهى المصلى . ويكره فيه الخوض والفضول وحديث الدنيا ولمن اكل فيه أن يجتنب تلويث حصره وان ينظف مالوثه ولمن يعلم فيه أو يتعلم أو يذكر أن يجتنب رفع الصوت . وينبغي تعهده بالكنس وتجميره والايقاد فيه بالمعروف. ومما يتعين على خدمة المساجد أن يتعهدوها بالنظافة وفتح نوافذها وشبابيكها على المدى فان الهواء الفاسد فيها من أنفاس الجلاس يسبب أخطاراً جسيمة من الصداع وضيق النفس وذلك لانه يحتوى على غازات من أجسادهم ورئاتهم وهي مواد سامة فيلزم أن تفتح الابواب والنوافذ لكى يتجدد الهواء في اطرافها كلها والشقوق الموجودة في الابواب لاتكفي لذلك . وهكذا يقال في كل مجتمع للناس وفي كل غرفة صغيرة يسكنها جماعة فيجب تجديد هوائها فى كل برهة ويجب على ذوي اليسار أن يلموا شعث المساجد ويتعاونوا على عمارتها . ويتفقدوها على المدى . وما ابلغ ماكتبه شمس البلغاء الخوارزمى الى فقيه في تعهد مسجد وهو بنصه الفائق :

أحق الاماكن بان يصان ولايهان واولاها بان ينحى عن مدرجة الاختلال ويرفع عن ان تتناوله يد الابتذال مكان بنى ليجمع شمل التعبد ويضم نشر التهجد وترفع منه الحوائج الى من لايضجر من السؤال ولا يتبرم بكثرة التسآل وهو الكبير المتعال فان صيانة هذا المكان

صيانة الدين بل صيانة الاسلام والمسلمين وكبت الكفر والكافرين . وما ظنك بموضع هو بيت من بيوت الله ومظنة لقراءة وحي الله تصف فيه الاقدام بين يدي الله ويتميز فيه أولياء الله من أعداء الله وهو من «بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه» وهو مسكن من مساكن الابرار ومجلس من مجالس الاخيار وحصن من حصون المسلمين على الكفار وجسر بين الجنة والنار دخوله عبادة والمقام به سعادة والاعتكاف فيه سنة مستحسنة لا ياوى اليه كافر ولا يقربه الا طاهر من عمره عمر طريق الآخرة ومن بناه بنى له بيت في الجنة وباغني ماانت فيه من بناء مسجد محلتك ضاعف الله عليه ثوابك واكرم مآبك ورضى عنك وتقبل منك فتوسع رحمك الله في نفقتك فانما تعامل وتسلف كريما سخياً ولا تحاسب نفسك على دخلك وخرجك فانك بصدد اضعاف ذلك من الثواب وانما يوفى المحسن اجره بغير حساب وتذكر قول الله تعالى: «انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر»

١٤ - ﴿ زمن الضياع ﴾

يلزم فى أوقات الفراغ من العمل قراءة كتب الآداب والحكم ومطالعة الصحف والمجلات العصرية والمذاكرة فى الاندية بالمباحث العلمية والاقتصادية مما يفيد تبادل الافكار فيه وتلذ المناقشة به كل ذلك ضناً على الوقت ان يبذل في سبيل اللهو واللغو والاحاديث التافهة وانهاضاً للفكر ليجول فى ميادين المنورات والمبصرات ويقتطف ثمار المعارف اليانعات.

خاتمة فى تتممات

١ - ﴿ واجبات الحريص على الفضائل ﴾

إذا كانت النفس خيرة فاضلة تحب نيل الفضائل وتحرص على اصابتها وتشتاق إلى العلوم الحقيقية والمعارف الصحيحة فيجب على صاحبها أن يعاشر من يجانسه ويطلب من يشاكله ولا يأنس بغيرهم ولا يجالس سواهم ويحذر كل الحذر من معاشرة أهل الشر والمجون والمجاهرين بركوب الفواحش المنهمكين فيها ولا يصغى إلى اخبارهم مستطيبا ولا يروي أشعارهم مستحسنا ولا يحضر مجالسهم مهيجاً وذلك ان حضور مجلس واحد من مجالسهم وسماع خبر واحد من أخبارهم يتعلق من وضره ووسخه بالنفس ما لا يغسل عنها إلا بالزمان الطويل والعلاج الصعب وربما كان سبباً لفساد الفاضل المحنك . والعلة في ذلك ان محبة اللذات البدنية والراحات الجسمية طبيعة للانسان لاجل النقائص التي فيه فهو بالجبلة والفطرة السابقة يميل اليها ويحرص عليها وانما يزم نفسه عنها بزمام العقل حتى يقف عند ما يرسم له ويقتصر على المقدار الضروري منها *

٢ - ﴿ تعهد النفس بمراقبتها ﴾

معلوم ان قوى النفس الانسانية مفتقرة دائما الى تعهدها بالتربية والتثقف فالارض مثلا لا تخرج ما في أرحامها إلا بالفلاحة وهي لا تكون

الا بآلات خاصة بها واسباب تهيؤها والكتابة لا تكون إلا بأدوات خاصة بها كالقلم وتوابعه .

أما هذه الادوات في التربية فهي عبارة عن العلم الصحيح والمعلم الكامل والاخلاق المهذبة وحسن الاسوة من الاهل والاقران واحكام المراقبة التي يكون بها اجتناب كل ما يخل بالادب والكمال مع تعهد يستمر في تقويم الطباع المتأصلة والعقائد الموروثة الى الصحيح السالم منها * وبديهي أن التربية بهذا المعنى تشمل الوقوف عندحدودالاوامر والنواهي الشرعية بعد معرفة الحلال والحرام ومقاومة الشهوات النفسانية وصرف قواها إلى صالح الاعمال الكافلة لسعادة الانسان في معاشه ومعاده لهذا ترى الامم العاملة على اعلاء مجدها تصرف عنايتها في نشر العلوم النافعة وبث أفكارها في عقول بنيها على يد أساتذة كرام من صفوتها أدبًا ودينًا وعلما وأخلاقا ليكونوا أمناء على المتعلمين . قال بعض الحكماء لولده : يابني اعلم ان العز في طاعة الله والذل في معصية الله والناس يتفاضلون بالعقل ويتميزون بالعلم ويتفاوتون بالعمل ويسودون بالحلم فعليك في دينك بالازدياد وفي دنياك بالاقتصاد * وقال آخر : اعلم أيها الناشيء انك اليوم طفل وبعد مدة تصير رجلا عليك مدار كثير من الاعمال ولك أولاد وأهل تقوم بنفقتهم وأرزاقهم فاحفظ ما تتعلمه في صغرك ينفعك في كبرك فالولد المهذب هو الذي يسعى وراء ما يعود عليه بالفائدة وعلى أمته بما يكفل لهم السعادة —

٣ - ﴿ وصايا الحكم المستعصى ﴾

قال الحكيم المستعصمي : يجب على المعتنى باصلاح أخلاقه مراعاة هذه الامور (١) أن يغتنم الحياة التي بها فارق الاموات والجماد فيصرف زمانه في المهم دون غيره (٢) ان يحفظ وقته فقد قيل : « ان امرأ ذهبت من عمره ساعة لحرى أن تطول حسرته عليها » (٣) ان يكون متفقداً لجميع أخلاقه متيقظا لسائر أحواله منتقصا لمذموم عاداته (٤) ان يكوم أبداً عاشقا لصورة الكمال مستلذا محاسن الاخلاق ومحمودها (٥) أن يعتني بتهذيب نفسه فلا يستكثر ما يقتنيه من الفضائل والعلوم النافعة (٦) ان يكون مستصغراً للتربية العليا طالباً غايتها بجهده جاعلا غرضه الاحاطة بها (٧) ان لا يقف عند غاية من العلم الا ويومىء بطرفه إلى ما فوقها ليزداد بصيرة (٨) : ان يأخذ نفسه بأوامر الله ورسوله وأولى الامر من بعده سيؤدبها بآدابهم (٩) : ان يسدد طرفاً من علم اللسان ويعتني بالبلاغة والفصاحة والكتابة والدرس (١٠) : ان يجعل لشهواته قانونا راتبا يقصد فيه الاعتدال ويجتنب الاسراف (١١) : ان يقمع أبداً سورة القوتين الغضبية والشهوانية ويستعمل قوة العقل عليهما (١٢) ان يجتنب محاكاة الغير بالكلام واستعمال السفه بالالفاظ القبيحة ويترك الحلف (١٣) ان يكون سهل اللقاء والبشر والتسليم سابقا به بعيداً من الاشرار مستعمل القصد فى كل أموره (١٤) : ان يجتنب مخاطبة النساء والصبيان والعامة والسفهاء ويلازم الصمت عما لا ينبغي (١٥) : أن يحترز

من دخول النقص عليه وليجتهد في بلوغه غاية الكمال .

٤ - ﴿ ثمرة التأدب بمكارم الأخلاق ﴾

أوصى بعض الحكماء بنيه فقال : الادب أكرم الجواهر طبيعة وأنفسها قيمة يرفع الاحساب الوضيعة ويفيد الرغائب الجليلة ويعز بلاعشيرة ويكثر الانصار لغير ذرية فالبسوه حلة وتزينوه حلية يؤنسكم في الوحشة ويجمع لكم القلوب المختلفة . قال الشاعر :

ما وهب الله لامرىء هبـة * أفضل من عقله ومن أدبه
هما حياة الفتى فان فقدا * فان فقـد الحيـاة أحسن به

وأوصي آخر ابنه فقال : يابني الادب دعامة أيد الله بها الالباب وحلية زين بها عواطل الاحساب فالعاقل لا يستغنى وان صحت غريزته عن الادب المخرج زهرته كما لا تستغنى الارض وان عذبت تربتها عن الماء المخرج ثمرتها *

وقال ابن المقفع : ما نحن الى ماتتقوى به حواسنا من المطعم والمشرب بأحوج منا الى الادب الذي هو لقاح عقولنا فان الحبة المدفونة في الثرى لا تقدر ان تطلع زهرتها ونضرتها الا بالماء الذى يعود عليها من مستودعها وقال آخر : الشرف كل الشرف والفضل كل الفضل ان تفخر بعملك الطيب فهو الذي يجعلك غرة في جبين اسرتك ودرة في جيد بيئتك ويصيرك نادرة زمانك وجوهرة ايامك *

﴿ مسك الختام ﴾

« في مختارات أبيات يعهد الى المتأدب بحفظها »

من سنة المؤدبين المتقدمين أن يأخذوا على المتأدبين حفظ مختارات من الشعر، قصائد ومقاطيع وشواهد * ولما كان كتابنا هذا لايتسع الا للشواهد التى لاغنى بالمتأدب عنها أوردنا منها مختارات على ترتيب حروف الهجاء صدراً وعجزاً ثلاثاً ثلاثاً فيحسن بالمتعلم أن يستظهرها ويدل على فطانته بالاستشهاد بها في مواطنها وعليه بعدها أن يراجع دواوين الشعراء ويستظهر أبدع مانسجوه وأبلغ ما نظموه فيكمل أدبه وتعلو رتبته *

(حرف الهمزة)

إبدأ بنفسك فانهها عن غيها * فاذا انتهت عنه فأنت حكيم
احفظ لسانك لاتقول فتبتلى * ان البلاء موكل بالمنطق
أحسن الى الناس تستعبد قلوبهم * فطالما استعبد الانسان احسان

* * *

اذا صاحبت فى أيام بؤس * فلا تنس المودة فى الرخاء
وهبنى قلت هذا الصبح ليل * أيعمى العالمون عن الضياء
اذا ما الحر أجدب في زمان * فعفته له زاد وماء

(حـرفق اليـاء)

بادر الى الفرصة وانهض لما * تريد فيها فهي لا تلبث
بالرفق مارس ولاين من تخالطه * تربح وغالظ اذا لم ينفع اللاين
بذا قضت الايام مابين أهلها * مصائب قوم عند قوم فوائد

* * *

ولست بمستبق أخا لا تلمه * على شعث أي الرجال المهذب
سعى رجال فنالوا قدر سعيهم * لم يأت رزق بلاسعي ولاطلب
فهم يطفئون المجد والله واقد * وهم ينقصون الفضل والله واهب

(حـرف التـاء)

تأمل سطور الكائنات فانها * من الملأ الاعلى اليك رسائل
تبدي عيونهم ما في قلوبهم * والعين تظهر مافى القلب أو تصف
تعـلم فليس المرء يولد عالما * وليس أخو علم كمن هو جاهل

* * *

فلا تسـأل المرء عن سـنه * ولا ماله واخش أن تعنتـا
نظرت الى الاربعون فأصرخت * شيبي وهزت للحنو قناتي
ومن الاقارب من يسر بميتتي سفهاً وعز حياتهم بحياتي

(حـرف الثـاء)

ثراء المال يفنى بعـد حين * وتبقى الباقيات الصـالحات

ثلاثة ليس بها اشتراك * المشط والمرآة والسواك
ثوب الرياء يشف عما تحته * فاذا اكتسيت به فانك عارى

* * *

من أحسن الدهر وقتاساعة سلمت * من الشرور وفيها صاحب حدث
وليس يأمن قوم شر دهرهم * حتى يحلوا ببطن الارض أجداثا
بئس الاخلاء ليس البر شيمتهم * لو بر مقسمهم يوما غدا حنثا

(حرف الجيم)

جراحات السنان لها التئام * ولا يلتام ما جرح اللسان
جزى الله الشدائد كل خير * عرفت بها عدوى من صديقي
جود الفتى يكفيك تساآله * والعدم خير من سؤال البخيل

* * *

وانى لاحمي الجار فى كل ذلة * وأفرح بالضيف المقيم وأبهج
رويدك فالهموم لها رتاج * وعن كثب يكون لها انفراج
خذوا في سبيل العقل تهدوا بهديه * ولا يرجون غير المهيمن راج

(حرف الحاء)

حب السلامة يثني عزم صاحبه * عن المعالى ويغري المرء بالكسل
حسب الفتى أن يكون ذا حسب * من نفسه ليس حسبه حسبه
حسن الحضارة مجلوب بتطرية * وفى البداوة حسن غير مجلوب

وأيسر من كفي اذا ما مددتها * لنيل عطاء مد عنقي لذابح
واذا رمتك من الرجال قوارض * فسهام ذى القربى القريبة أجرح
أسني فعالك ما أردت بفعله * رشداً وخير كلامك التسبيح

(حرف الخاء)

خلق اللسان لنطقه وبيانه * لا للسكوت وذاك حظ الاخرس
خليلى ليس الرأي في صدر واحد * أشيرا على اليوم ما تريان
خليلى لا والله ما من ملمة * تدوم على حي وان هى جلت

* * *

وهمى همتى في دار دنيا * بوضع مآثر تتلى لناسخ
تنسكت بعد الاربعين ضرورة * ولم يبق إلا أن تقوم الصوارخ
أحسن بهذا الشرع من ملة * يثبت لا ينسخ فيما نسخ

(حرف الدال)

دع التكاسل في الخيرات تطلبها * فليس يسعد بالخيرات كسلان
دع ما يريب لامر لا ارتياب به * بذاك أوصى البرايا سيد البشر
دعاكم الى خير الامور محمد * وليس العوالى في القنا كالسوافل

* * *

أقلد وحدي فليبرهن مفندي * فما أضيع البرهان عند المقلد

اذا أنت أكرمت الكريم ملكته * وان أنت أكرمت اللئيم تمردا
ومن عاش بين الناس لم يخل من أذى * بما قال واش أو تكلم حاسد

(حرف الذال)

ذريني أنل ما لا ينال من العلا * فصعب العلا في الصعب والسهل في السهل
ذريني فان البخل لا يخلد الفتى * ولا يهلك المعروف من هو فاعله
ذكر الفتى عمره الثاني وحاجته * ما فاته وفضول العيش أشغال

* * *

خل السرور لمن يغر به * واعبد الهك واحداً فذا
نبذتم الاديان من خلفكم * وليس في الحكمة أن تنبذا
ترى المرء جبار الحياة وان دنت * منيته الفيته وهو مستخذى

(حرف الراء)

رأيت العز في أدب وعقل * وفي الجهل المذلة والهوان
رأيت صلاح المرء يصلح أهله * ويعدیهمو داء الفساد اذا فسد
رضا الذليل بخفض العيش منقصة * والعز عند رسيم الاينق الذلل

* * *

كأن فؤادي من تذكره الحمى * وأهل الحمى يهفو به ريش طائر
سموت الى العلى وعلوت حتى * رأيت النجم تحتي وهو يجري
انى أواري خلتى فاريهم * ريا وفي سر الفؤاد أوار

(حـرف الـزاى)

زن القول من قبل الكلام فانما * يدل على قـدر العقول التكلم
زيادة المرء في دنيـاه نقصان * وربحه غـير محض الخير خسران
زين أخاك بحسن وصفك فضله * وأذع لما يأتي من الحسـنات

* * *

لاترض وعداً أن قدرت على ندى * واذا وعدت فيسر الانجازا
وليس على الحقائق كل قولي * ولكن فيه أصناف المجاز
وعدتنا الايام كل عجيب * وتلون الوعود بالانجـاز

(حـرف السين)

ساعد صديقك في أمر يحاوله * فالحر للحر معوان على الزمن
سافر تجـد عوضـا ممن تفارقه * وانصب فان اكتساب المجد في النصب
سيذكرني قومي اذا جد جدهم * وفي الليلة الظلماء يفتقد البـدر

* * *

فما كل من يشري القنا يطعن العدا * ولا كل من يلقى الرجال بفارس
يضيق مكاني عن سواي لانني * على قمـة المجـد المؤثل جالس
زرت القبور فما آنست من شبح * هيهات أوحش خل بعد ايناس

(حـرف الشين)

شاور سواك اذا نابتك مشكلة * يوماً وان كنت من أهل المشورات

شكرتك ان الشكر دين على الفتى * وما كل من أوليته نعمة يقضى
شهوات الانسان تكسبه الذل * وتلقيه في البلاء الطويل

* * *

سل الليل عنى هل أذوق رقاده * وهل لضلوعي مستقر على فرشي
ألقى صدور الخيل وهي عوابس * وأنا ضحوك نحوها وبشوش
أرى حسن البقـاء لمن يرجي * فلاحاً أو به رجل يعيش

(حـرف الصـاد)

صاحب البغي ليس يسلم منـه * وعلى نفسه بغى كل باغ
صحبة يوم نسب قريب * وذمة يحفظها اللبيب
صديقك من يرعاك عند شديدة * فكل تراه فى الرخاء مراعيا

* * *

تواصوا ببذل العرف بل بعثتهم * عليـه سجاياهم بغـير تواص
من طال فوق منتهى بسطتـه * أعجزه نيـل الدنى بله القصـا
لقد حرصوا على الدنيا فبـادوا * فلا تك في الحياة من الحراص

(حـرف الضـاد)

ضجر الفتي في الحادثات مذمة * والصبر أليق بالرجال وأوفق
ضدان لما استجمعا حسنا * والضد يظهر حسـنه الضد
ضياع العمر في عبث ولهو * ضلال لا يشابهه ضلال

* * *

ومكائد لى بالمغيب رميته * بصريمة كالنجم فى منقضه
من معشر بذلوا النفوس سماحة * وحموا بيوت المجد أن تتقوضا
وخذ لنفسك من عمر تضيعه * جزأ ولا ترسلن الامر تفويضا

(حرف الطاء)

طبع الفتى يصلح بالتطبع * فاعرف طباع الصالحين واتبع
طالب الامانى بالتوانى خلة * لا يلحق العلياء باع مقصر
طمع الفتى ذل وعفة نفسه * عز وكم شره يجر الى شرك

* * *

كأن دنياك ماء حوض * آخره آجن خبيط
من لك بالمهذب الندب الذى * لا يجد العيب اليه مختطى
فجد بعرف ولو بالنذر محتسبا * ان القناطير تحوى بالقراريط

(حرف الظاء)

ظلموا الرعية واستجازوا كيدها * وعدوا مصالحها وهم أجراؤها
ظن الحسود بنا الظنون وكيده * في نحره فالله خير حافظا
ظهور العدل يمحو كل شر * إذا جاء الصباح مضي الظلام

* * *

من الناس من لفظه لؤلؤ * يبادره اللقط اذ يلفظ

وبعضهم قوله كالحصا * يقال فيلغى ولا يحفظ
ومن البرية من يعيب بجهله * أهل الحسنات وليس بالمتيقظ

(حرف العين)

عادات هذا الدهر ذم مفضل * وملام مقدام وعذل جواد
عدوى البليد الى الجليد سريعة * والجمر يوضع في الرماد فيخمد
علي قدر أهل العزم تأتى العزائم * وتأتي على قدر الكرام المكارم

* * *

وذكر بالتقى نفراً غفولا * فلولا السقى ما نمت الزروع
كابد الاهوال في زورته * ثم ما سلم حتي ودعا
ظنوا وميض البرق بارق نجعة * ما تحت كل وميض برق مرتع

(حرف الغين)

غضب الكريم وان تأجج ناره * كدخان عود ليس فيه سواد
غفلة المرء عن دواعي المعالى * من دواعى تخلف الآمال
غير مجد في ملتي واعتقادى * صوت باك ولا ترنم شادى

* * *

عد عن شارب كأس أسكرت * فهو مثل الكلب في الرجس ولغ
وأروح الرزق ما وافاك في دعة * حلا وقسم في أيامه بلغا
انا في العلا نفس تعز بربها * وقلب بغير الفكر والشكر فارغ

(حــرف الفــاء)

فأتمم ما بدأت به وأنمم * فما المعروف الا بالتمام
فقل لمرجى معالى الامور * بغير اجتهاد طلبت المحالا
فؤادالفتى نصف ونصف لسانه * فلم يبق الا صورة اللحم والدم

* * *

وان يعيبوا سواداً قد كسيت به * فالدر يستره ثوب من الصدف
ينجمون وما يدرون لو سئلوا * عن البعوضة انى منهم تقف
لك الخير قد وفيت جودك فرصة * ومن بذل المجهود في شكره وفى

(حــرف القــاف)

قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه * خلق وجيب قميصه مرقوع
قد قضي ما عليه من بلغ الجه * د وان لم يصل الى ما أرادا
قيمة كل امريء تراه * ما يقتنيه من العلوم

* * *

ما ان رأيت ولا سمعت بمثله * دراً يعود من الحياء عقيقا
لا أطمئن ولا أتوق الى هوى * ولكل حي في الحياة متاق
وسيحذر الدعوى اللبيب فانها * للفضل مهبطة وخطب موبق

(حــرف الكــاف)

كفى حزنا ان الجواد مقتر * عليه ولا معروف عند بخيل

كل امرىء راجع يوماً لشيمته * وان تمتع أخلاقاً إلى حين
كل من فى الوجود يطلب صيداً * غير أن الشباك مختلفات

* * *

كيف السلو وما سمعت حمائماً * يندبن الا كنت أول باك
والعين تبصر أين حبتها * لكنها تعمى عن الشرك
جهل الديانة من اذا عرضت له * أطماعه لم يلف بالمتماسك

(حرف اللام)

لعمرك ما الايام الا معارة * فما اسطعت من معروفها فتزود
لبكاء النساء عند الرزايا * ولحسن العزاء فيها الرجال
لها في طرفها لحظات حتف * تميت بها وتحيي من تريد

* * *

ألا أيها القلب اللجوج المعذل * أفق عن طلاب البيض ان كنت تعقل
ولى في كل معركة حديث * اذا سمعت به الابطال زلوا
تجنب الزهو في الدنيا فلو زهيت * غر الغمام لذل القطر اذ نزلا

(حرف الميم)

متى يبلغ البنيان يوماً تمامه * إذا كنت تبنيه وغيرك هادم
من لم يقف عند انتهاء قدره * تقاصرت عنه فسيحات الخطا
من ضيع الحزم جني انفسه * ندامة ألذع من سفع الذكا

* * *

أرى ألف بان لا يقوم بهادم * فكيف ببان خلفه ألف هادم
وكيف يطيق الصب كتمان سره * وهل يكتم الوجد امرء هو مغرم
وما الفضل في أهل الشرابيش سبة * وما الفضل محصوراً بأهل العمائم

(حرف النون)

نافس على الخيرات أهل العلا * فانما الدنيا أحاديث
نفس عصام سودت عصاما * وعلمته الكر والاقداما
تهيتك لا تعجل بعتب لصاحب * لعل له عذراً وأنت تلوم

* * *

فكم يشكو كريم من لئيم * وكم يلقى هجان من هجين
لو كانت الخمر حلا ما سمحت بها * لنفسي الدهر لا سراً ولا علنا
يهوى الثناء مبرز ومقصر * حب الثناء طبيعة الانسان

(حرف الهاء)

هذى الحياة مسافة فاصبر لها * كيما تبين وأنت غير ملوم
هذا البياض رسول الموت يبعثه * فى كل عصر الى الاجيال والامم
هي الراح أهل لطول الهجاء * وان خصها معشر بالمدح

* * *

والليل سيف الفجر في فرقه * يقتله والديك ينعاه

اشبهت في العلياء جدك أحداً * ان الا كارم في العلا أشباه
أعوذ بالله من قوم اذا سمعوا * خيراً أسروه أو شراً أذاعوه

(حرف الواو)

واذا الكريم مضى وولى عمره * كفل الثناء له بعمر ثان
وآفة العقل الهوى فمن علا * على هواه عقله فقد نجا
وقل من جد فى أمر يحاوله * واستصحب الصبر الا فاز بالظفر

* * *

وجدت الرفق أبلغ في السمو * ولم أر كالتواضع في العلو
اذا أهلت ديار من أناس * فسوف يمسها منهم خلو
وما أنا يائس من عفو ربى * على ما كان من عمد وسهو

(حرف لام ألف)

لا تجد بالعطاء في غير حق * ليس في منع غير ذى الحق بخل
لا تجعل الهزل دأبا فهو منقصة * والجد تعلو به بين الورى القيم
لا تجعلن دليل المرء صورته * كم مخبر سمج من منظر حسن

* * *

عركت نوائب الايام حتى * رأيت كثيرها عندى قليلا
وسائلين بحالى كيف صورتها * فقلت قد نطقت حالى لمن عقلا
واذا أذلت النفس فى طلب العلا * فلتلفين لما ملكت مذيلا

(حـرف اليـاء)

يقولون لى فيك انقباض وانما * رأوا رجلاعن موقف الذل أحجما
يأبى الفتى الا اتباع الهوى * ومنهج الحق له واضح
يعيبون لونى بالسواد جهالة * ولو لا سواد الليل ماطلع الفجر

* * *

تروم شفاء ما الاقوام فيه * رويدك ان داء القوم اعيي
دعالى بالحياة أخو وداد * لعمرك انما تدعو عليا
اذا الانسان كف الشر عنى * فسقيا في الحياة له ورعيا

﴿ قال مؤلفه جزاه الله خيراً ﴾

هذا ما قدر لنا جمعه داعين أن يعم نفعه فعلى المتأدب ان يحتفظ
بدرره ويستظهر من غرره فان وعيه لحكمه من تمام النعمة
لا سيما خواتمه المنظومة وفي الحديث « ان من الشعر
لحكمة » وكان مؤلفه ابتدأ بتسويده عام (١٣٢٢)
ثم أعاد النظر اليه مرات الى ان تم تبييضه فى
شعبان سنة (١٣٣١) بدمشق الشام *
والحمدلله ذى الجلال والا كرام

فهرست